

كِتَابُ

أظهار المكشور

من

تأليف الجديّة لابن زيدون

أليف

مصطفى عناني

مفتش منطقة القاهرة بوزارة المعارف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تباع بمكتبة الشيخ سيد موسى شريف

بخان الخليلي بمصر

الطبعة الثالثة المنقحة

١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م

المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

كِتَابُ

اظهار المكنون

من

السَّيِّدَةِ الْجَدِيدَةِ لَابْنِ زَيْدُونَ

أَلْفٌ

مُصْطَفَى عَنَّا

مَقْتَش مِنْطَقَةُ الْقَاهِرَةِ بَوَازَارَةِ الْمَعَارِفِ

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ

تَبَاعُ بِمَكْتَبَةِ الشَّيْخِ سَيِّدِ مُوسَى شَرِيفٍ

بِمَخَانِ الْخَلِيلِيِّ بِمِصْرَ

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ الْمُنْقَحَةُ

١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م

المطبعة الرحمانية بمصر

لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدور الأدياء ، وخصهم من الفضيلة بما
شاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من أوتي الرسالة ،
وانجلى به غياهب الشرك والضلالة ، القائل إن من البيان لسحراً ،
وإن من الشعر لحكمة ، وعلى آله وأصحابه ، المتخلفين بأخلاقه ،
المستمسكين بأدابه ، (وبعد) فهذا شرح موجز للرسالة الجديدة
لابن زيدون ، أردنا الإقتصار فيه على تفسير مفرداتها ، وتبيين مقاصد
الكاتب من عباراتها ، وذكر مضارب أمثالها ، ونسبة ما جاء فيها من
الآيات لذوئها ، وسرد ما استشهد به من الوقائع فيها ، وما حله من
الآيات في غضوناتها

ونذكر قبل ذلك مقدمة موجزة في تاريخ الأندلس
السياسي ، وحالة اللغة العربية فيها ، ونقف على ذلك ببذة قصيرة في
ترجمة ابن زيدون مصطفى عناني

نبذة في تاريخ الأندلس السياسي

(٩٢ - ١٩٧) = ٨٠٥

في سنة ٩٢ للهجرة افتتح موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على أفريقية ومولاه طارق بن زياد جزيرة الأندلس ، فصارت بذلك عمالة أموية ، يولى عاملها من قبل الخليفة تارة ومن الوالى بالقيروان أخرى ، وبقيت تحت سلطانهم إلى سنة ١٣٨ أى (٤٦) عاما تولى الأمانة فيها (٢٠) عاملا ، وانقضى جل هذه المدة فى فتح وجهاد ، وقتال وجلاد ، وباقيها فى خلاف شديد ، وتراع مبيد ، وفتن داخلية أشدها ما كان بين من فيها من اليمانية والمضرية ، وهم السواد الأعظم من سكانها .

وفى سنة ١٣٨ للهجرة أتى عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك ومولاه بدرأ هذه البلاد (فارأ من عسف العباسيين ، وبغيتهم على أشرف الأمويين ، وأعوان دولتهم ، والتسكيل بمن يظفرون به من أبناء الخلفاء ، والتضيق عليهم ، ونصب الحبائل لهم فى كل صقع وواد) .

فأسس فى جزيرة الأندلس دولة أموية عربية ، لتقوم مقام دولتهم بالشرق التى بنى العباسيون على أنقاضها ملكهم الفخيم ، وسلطانهم الضخم ، وساعده على ذلك عزيمة صادقة ، وشيعة أموية ، وفتن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدور الأدياء ، وخصهم من الفضيلة بما
شاء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من أوتي الرسالة ،
وانجلى به غياهب الشرك والضلالة ، القائل إن من البيان لسحراً ،
وإن من الشعر لحكمة ، وعلى آله وأصحابه ، المتخلفين بأخلاقه ،
المستمسكين بأدابه ، (وبعد) فهذا شرح موجز للرسالة الجديدة
لابن زيدون ، أردنا الاقتصار فيه على تفسير مفرداتها ، وتبيين مقاصد
الكاتب من عباراتها ، وذكر مضارب أمثالها ، ونسبة ما جاء فيها من
الأبيات لذوئها ، وسرد ما استشهد به من الوقائع فيها ، وما حله من
الأبيات في غضوناتها

ونذكر قبل ذلك مقدمة موجزة في تاريخ الأندلس
السياسي ، وحالة اللغة العربية فيها ، ونقف على ذلك بنبرة قصيرة في
ترجمة ابن زيدون مصطفى عناية

نبذة في تاريخ الأندلس السياسي

(٩٢ - ١٩٧) = ٨٠٥

في سنة ٩٢ للهجرة افتتح موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على أفريقية ومولاه طارق بن زياد جزيرة الأندلس ، فصارت بذلك عمالة أموية ، يولى عاملها من قبل الخليفة تارة ومن الوالى بالقيروان أخرى ، وبقيت تحت سلطانهم إلى سنة ١٣٨ أى (٤٦) عاما تولى الأئمة فيها (٢٠) عاملا ، وانقضى جل هذه المدة فى فتح وجهاد ، وقتال وجلاد ، وباقيها فى خلاف شديد ، وتراع مبيد ، وفتن داخلية أشدها ما كان بين من فيها من البمانية والمضرية ، وهم السواد الأعظم من سكانها .

وفى سنة ١٣٨ للهجرة أتى عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك ومولاه بدرأ هذه البلاد (فارأ من عسف العباسيين ، ولغيهم على أشرف الأمويين ، وأعوان دولتهم ، والتشكيل بمن يظفرون به من أبناء الخلفاء ، والتضييق عليهم ، ونصب الحبائل لهم فى كل صقع وواد) .

فأسس فى جزيرة الأندلس دولة أموية عربية ، لتقوم مقام دولتهم بالمشرق التى بنى العباسيون على أنقاضها ملكهم الفخم ، وسلطانهم الضخم ، وساعده على ذلك عزيمة صادقة ، وشيعة أموية ، وفتن

مستحكمة بين القحطانية والعدنانية ، من جرّاء توليه الأمانة ،
وتملك مقاليد الزعامة . واستمرت تلك البلاد خاضعة لهم ، إلى سنة ٤٢٢
أى (٢٨٤) سنة تولى فيها من الأمراء والخلفاء (١٥) رجلا قطعت
فيها الدولة من الحضارة والغضارة والرقى الحسى والمعنوى شوطا طويلا
وصارت فيه إلى أبعد غاية وأقصى مدى

ثم ضعف سلطانهم ، (سنة الله فى خلقه) فاستقلت أطرافها ،
وتغلب فى كل جهة منها متغلب من العرب والموالى والبربر ، وتقسموا
ألقاب الخلافة فيما بينهم فمن مقتدر إلى معتضد ، ومن مستعين إلى
معتمد ، حتى كثرت الألقاب ، وتعددت الخلافات ، فذهبت بهجتها ،
وقلت روعتها ، وقال فيها شاعرهم : —

مما يزهدنى فى أرض أندلس تلقيب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة فى غير موضعها كاهر يحكى انتفاخا صورة الأسد
وهؤلاء هم المسمون فى تاريخ البلاد (ملوك الطوائف) ، وقد كانوا
(على كثرتهم) يفاخر كل منهم جاره ، ويسعى فى الفوق عليه بترقية
بلاده ، واتساع رقعتها ، وبسط نفوذه على مجاوريه بالقتال الدائم ،
والنزاع المستمر مما سهل للعدو طريق الوصول اليهم ، والتغلب عليهم .
ودامت دولتهم إلى سنة ٤٨٤ أى (٦٢) سنة .

ومن أشهر ملوكهم : بنو عباد باشبيلية ، وبنو الألفطس ببطليوس ،

وابن ذى النون بطليطالة ، وبنو هود بسر قسطه ، ولييب العامرى
بطرطوشه ، والمنصور المغافرى ببلنسية

ومن ذلك الحين كانت الجزيرة إقليماً تابعاً للبرابرة سلاطين
المغرب ، وأول من عمل منهم على إخضاعها لحكمه وإدخالها تحت
سيطرته المثلثون (بناء مراکش وسلاطينها) فانهم جاءوا إليها بدعوة
من أحد ملوك الطوائف (المعتمد بن عباد) للاغاثة من الأسبان الذين
أخذوا يستردون البلاد والحصون ، ويتحكمون فى الأمراء كما يشاءون ،
ثم بدا لهم بعد الانتصار واستتباب الأمن أن يستبدوا بالملك وحدهم
فكان لهم ما أرادوا ، وحدث بينهم وبين الأسبان بعد ذلك وقائع
عدة استردوا فيها كثيراً من المدن والبلاد والمعاقل والقلاع وتقوضت
دولتهم من بلاد الأندلس بعد أن داموا فيها (٦٢) سنة

ولما قامت دولة الموحدين سنة ٥٢٤ شرعت تناوى المثلثين ثم
تغلبت عليهم واستولت على مراکش وبلاد الأندلس واسترجعت
كثيراً من أمصارها وقلاعها ، وكانت وقائعها مع أعداء البلاد مقرونة
بالظفر مصحوبة بالنصر إلى أن ضعف أمرهم ، وسكن ربحهم ،
وتغلب عليهم عدوهم من بنى مرين ، فذهبت دولتهم ، وشالت
نعامتهم ، وخفت صوتهم ، وانتهى أمرهم ، سنة ٦٢٩ أى (٨٤) سنة
ثم ظهر فى الأندلس سنة ٦٢٩ آخر دولة منها وهى دولة بنى الأحمر
(وكان مقرها غرناطة) فاستبدوا بالملك وثاروا على ابن هود المتغلب

بشرق الأندلس وكان مقره (سرقسطه) ، واستمرت رحى الحرب
بينهم دائرة ، ولظى نارها يشتعل ، وعدوهم يلقي بأسهم بينهم ، ويتنهرز
الفرص لخصم شوكتهم ، وإضعاف قوتهم ، وسلب بلادهم من
أيديهم ، يستعمل في ذلك كل حيلة ودهاء ، وكياسة وذكاء ، حتى آل
الأمر في سنة ١٨٩٧ إلى ذهاب سلطان المسلمين من هذه البلاد ،
وطموس آثارهم ، ودرس معالمهم ، وإزهاق روح لغتهم ، ومحق
حضارتهم وتعاليمهم

وبعد أن كانت الأندلس قرارة الأدب والدين ، ومنبع العلم
واليقين ، ومنتزه جميع المسلمين ، ومهد الحضارة ، والمثل الأعلى في
العمارة ، ومحط الرحال ، وملقى الآمال مدة ثمانية قرون أصبحت
(والأمر لله) وليس بها إلا ما يفتت الكبد ، ويفت في العضد ،
ويبعث الأذى ، ويديم الشجى ، ويسيل العبرات ، ويهيج الحسرات ،
والحكم لله العلى الكبير

حالة اللغة العربية في بلاد الأندلس

٩٢ — ١٨٩٧

انتشرت اللغة العربية في بلاد الأندلس ، وانبثت في جميع أرجائها
ونواحيها بسرعة قلما تنهيا لغيرها أو تتفق لسواها ، كان ذلك لأن
الدين يحملها على جناحيه فتهبط معه أينما هبط ، وترسم خطاه أنى سار

وساعد على ذلك عرب خلص رحلوا إليها من جميع القبائل اليمانية والمضرية ، كما رحل إليها قوم من أهل مصر والشام والعراق ، وهؤلاء يحملون رايتها ويعملون على بسط نفوذها ، لما في ذلك من اظهار سؤددهم ، ونشر دينهم وتعاليمهم ، وحمل الناس على محاكاتهم ، ولا عجب فهم سادة البلاد والقابضون على أزمتهما ، والمتصرفون في أعمالها (والناس على دين ملوكهم)

ومما حمل السكان على انتهاج طريقها والاهتمام بتعلمها ما كان من سهولتها ، وضبط قواعدها ، وكثرة معلميها ، وما رأوه من التسامح والانعضاء من أهلها ، فقد كانوا (على أنفتهم) يدمجون فيهم بالمصاهرة كل من تمسك بدينهم وتعرف لغتهم ، لا يبالون أصله ، ولا يهتمون بحسبه ، ولقد كان لأمر الأندلس وخلفائهم وسلطينهم في ترقية شئون اللغة واعلاء كلمتها أثر جليل وعمل صالح ظهر في بذلهم النفيس لتربية ملكة اللغة فيهم ، والتمكن من أساليبها ، وامتلاك نواصي آدابها وتحرير رقاب عباراتها ، ونشر المساجد والمدارس والحض على التعليم والتعلم ، وحث الأدياء على منافسة أهل المشرق ، وإذكاء جذوة الغيرة في نفوسهم ، وإثارة الحمية في قلوبهم ، باغداق النعم عليهم ، وتقريبهم منهم ، وتولييتهم مهام أمورهم ، وأرقى مناصبهم ، حتى بعثهم ذلك على مباراة المشاركة والجري معهم في مضمار الاجادة ، وأنت خير بآث المشاركة هم أصحاب الملك الكبير ، والسلطان العظيم ، وورثة العرب

الفصحاء في شعرهم ونثرهم ، والفرس والرومان واليونان في حضارتهم
وعلوهمهم . وببلادهم كعبة القاصد ، ونجعة الرائد ، ومحط رجال العلماء ،
ومهبط الكتاب والشعراء ، بل قبلة الاسلام ، ومجتمع جميع الانام .
فاطلع علماء الأندلس على ثمرات عقولهم ونتائج كدهم ، تارة بالأخذ
عن كتبهم ، وأخرى بالذهاب الى بلادهم في أثناء رحلتهم للحج ، أو لقصد
طلب العلم ، أو للضرب في الارض ابتغاء الرزق ، ثم عادوا الى بلادهم
عود الشمس بعد الأفول ، والغيث بعد المحول ، فنشروا فيها علومهم
وآدابهم ، وعنوا بغرسها في نفوس شبانهم وتحبيبها إليهم فلقنوهم منذ
نعومة أظفارهم النثر الفاتن ، والشعر الساحر ، فشبووا وقد تذوقوا حلو
الكلام وتسهل لهم حزنه ، ولان لهم صعبه ، وانقاد لهم أيه ، هذا
إلى ما بذله أولئك الخلائف والأمراء من مساعدة العلم وأهله ،
وتحبيب العلماء والمغنين والأدباء في استيطان بلاد الأندلس ، وبعث
التجار في سائر الأقطار ، لاعداد نفيس الكتب وغريب المؤلفات .
ولقد بلغ من ولوعهم بترقية بلادهم في العلوم والفنون أن بذلوا حر
الأموال لتظهر المؤلفات في بلادهم قبل ظهورها في بلاد مؤلفيها ،
ومن ذلك كتاب الأغاني للأصفهاني ، وشرح مختصر ابن عبدالحكم
للأبهري ، وقد عقد المقرئ في نفح الطيب أبواباً للوافدين إلى بلاد
الأندلس والنازحين عنها فارجع اليه إن شئت

وما حمل الأمويين على هذه العناية إلا طمعهم في استرداد ملكهم

الضائع ، ومجدهم القديم ، وإشادة دولة فتية قوية غنية ، يقوضون بها عرش خلافة العباسيين الذين غلبوهم على أمرهم ، وشتتوهم من بلادهم ، وقد علموا أن حياة الدول لا تكون إلا بالعلم فرفعوا عماده ، واعلموا مناره ، ويسروا سبله ، وسهلوا أسبابه

ولم تكن حال اللغة في بلاد الاندلس سائرة على سنن واحد ، بل كانت تتغير أحوالها ، وتتبدل صفاتها ، تبعاً لما تتقلب فيه الأمة من سراء وضراء وسعادة وشقاء ، وبداءة وحضارة ، وقوة وضعف ، وتبعية واستقلال — فقد كانت في الصدر الأول من الفتح (وهو زمن يقرب من نصف قرن) تشابه كثيراً حالتها عند بني أمية بالشرق عبارة سهلة بريئة من التصنع والتعمل ، يغلب عليها الترسيل ، ويمتحي فيها تصنع البديع بأنواعه ، تحوُّك في الصدر ، وتعمل في النفس ، تكاد أغراضها تنحصر في أحوال المعيشة وحماية الدين ، والحث على إعلاء كلمته ونشر تعاليمه ، والحض على بذل المهرج في حماية البلاد ، والمحافظة عليها من العدو الواقف لها بالمرصاد ، تغلب البدوية على خيالها وإن ظهر في بعض الأحياء مجالوا في معارض الحضارة

وفي زمن بني أمية وملوك الطوائف (وهو قريب من ثلاثة قرون ونصف) عمت اللغة السكان ، على اختلاف الأجناس والأديان حتى ترجم بها القسوس التوراة وغيرها من الكتب الدينية وليس بعد ذلك دليل على الشيوع والانتشار ، وسارت في هذه المدة شوطاً

طويلا وقطعت مسافة بعيدة وخطت خطوات واسعة ، وخلعوا عليها
نضرة بلادهم ، ورقة هوائهم ، وسلاسة أخلاقهم ، وأدجوا فيها دقيق
نسكاتهم ، وظريف مجونهم وجميل ابتكارهم ، وجيل اختراعهم ، حتى
صارت عنوانهم الدال عليهم ، ومرآتهم التي ترى فيها محاسنهم
واتسعت أغراضها حتى كادت (لا تحصى) فمن كتب اخوانية ،
إلى عهود سلطانية ، ومن أعمال إدارية ، إلى أمور صناعية وزراعية
وتجارية ، ومن تدوين علوم ، إلى مناظرة خصوم . أما الوصف فنحدث
عنه ولا حرج فقد وصفوا السماء وزهرها ، والرياض وأزهارها ،
والنواعير وأصواتها ، والسحب وأنواعها ، والأنهار وسفنها ، والطيور
وأشكالها ، والدواب وضرورها : والوقائع وأحوالها ، والقصور ورواءها
والخمر وندمانها ، والمحضارة وأسبابها ، والملاهي على تباين طرقها وتخالف
آثارها ، وإن شئت فقل وصفوا كل شيء وقع تحت حسهم وصفوا دق
خياله ، ورقت عبارته ، ففاقوا فيه السابقين ، وأتعبوا به اللاحقين ،
يستوى في ذلك شديهم وشبانهم ؛ ورجاهم ونسأؤهم — وفي نفح
الطيب من ذلك ما يملك سمعك ، ويستأثر بجملتك وتروك عبارته
وتستهويك صناعته ، ويدعوك إلى حفظه ، ويعاونك على القول
ورصفه .

ولم يكن من همهم العناية بالترجمة من الكتب الأجنبية لشغفهم
بلغة العرب وآدابها ، ولتعصبهم للدين وعلومه ، وبغضهم للأجانب

لتوتر العلاقات بينهم ، وتربص الايقاع بهم ، على أن الجانب المجاورين لهم لم يكن لهم نفوذ في دولتهم وسيطرة عليها ، كما أنه لم تكن لهم مدنية معروفة ، وحضارة مشهورة ، كما كانت ذلك فيمن خالط العباسيين من الفرس وغيرهم ، على أن ما ترجم في الشرق من العلوم والفنون قد نقل إليهم فيما بعد

ولقد كانت معاني اللغة وتصوراتها خالية من الغموص ، بعيدة من التعمق في الفكر ، متجافية عن الطرق النظرية ، والتدقيقات الفلسفية ، وإن اختلفت صورها وتعددت منازعها تبعاً لسعة الحضارة وتنوع مناحيها ؛ تكثر فيها الطرف اللذيذة ، والتحف المشوقة والنكات المضحكة من أمثال ما ينثره الجاحظ أثناء كلامه يطلب به تجديد نشاط القارئ وسرور السامع

أما خيالها فدقيق التمثيل واضح التصوير خلعت عليه الملاحظة أثوابها ، وأعارته الرشاقة حليها وملابها ، دوح حسنه بالبدايع مشر ، وماء رفته من السلاسة يقطر ، وماذا نقول في خيال بلاد الأندلس مصدرة ، وأهلها هم حاكته

ولقد تألق الأندلسيون في عباراتهم ، فاختروا لها سهل الألفاظ ، وسلس التراكيب ، وبديع الأساليب ، والتمزموا فيها السجع الخفيف الروح ، العذب المساغ ، القصير الفواصل وفي زمن المرابطين والموحدين ملوك مراکش يوم أن كانت

الدولة تابعة لهم دب في اللغة ديب الوهن والضعف وسرى في جسمها سم التأخر والانحطاط ، وذهبت نضرتها ، وقلت بهجتها لكثرة الفتن الداخلية والحروب المستمرة ، ولان الرؤساء من البربر وقلما تهزهم العبارات الرائقة والأبيات الحكيمة ، فأخذت اللغة تتدهور حتى كاد يقضى عليها ، لولا أن تداركها الله ببنى هود وبنى الأحرار فانتشلوها من وهنتها ، وانعشوها من عثرتها ، وأيقظوها من رقدتها ، واستعادوا لها شيئاً من سالف مجدها ، ولكن مدتهم وان امتدت إلى قرنين ونصف لم تؤثر في اللغة التأثير المبتغى ، ذلك لأن الفتن في تلك المدة قد انبثت في أرجاء البلاد ، وتطلع العدو على التغلب عليها ، وعض على ذلك بالنواجذ ، وعقد عليه الخناصر ، وما زال يتحين غفلة أهلها ويوقع بأسهم بينهم ، حتى شنت شملهم ، وصرق أحزابهم ، وفرق كلمتهم ، واستولى عليهم وأصبحوا أثراً بعد عين

لغة التخاطب

كانت بلاد الأندلس صدر الفتح الإسلامي مؤلفة من ثلاثة شعوب كبيرة : الشعب الأول العرب ومنهم الأمراء والرؤساء ، والثاني البربر وأغلبه من الجند الفاتحين ، والثالث سكان البلاد الأيبانيون . فكانت لغة التخاطب في تلك الجزيرة متنوعة تبعا لهؤلاء : فاللغة الفصيحة للعرب وخاصة البربر ، والوطنية للأيبان ، والبربرية أو العربية غير الفصيحة لعامة البربر

ثم تحول الحال بكثرة الفتوح وشدة الاختلاط بالمعاشرة والمصاهرة ،
فاستقام لسان البربر واقترب من الفصيح ، وأسلم كثير من أهل البلاد
وتعلم العربية ، وبرع فيها ونثر بها ونظم وألف وعلم ، وتزلف الناس
لرؤسائهم ، إذ المغلوب مولع بتقليد الغالب ، ففهموا العربية ونبغوا
فيها وكتبوا بها وخطبوا وشعروا ودوتوا ، فانتشرت في البلاد ، وسار
ذكرها في كل واد ، حتى احتكرت الحوار في الشعوب الثلاثة

وكلمها اقترب أولئك من اللسان العربي اقترب هو من ألسنتهم ،
فدخله شيء من التصحيف والتحريف ، والزيف عن سنن الأعراب
وتغيير المباني ، وإن بقيت أساليبه حافظة لشكلها العربي ، ولكن شيئاً
من ذلك لم يكن ظاهراً في لغة العلماء والأدباء وخاصة الخلفاء والأمراء
والمعلمين والمؤلفين ، لأنهم أخذوا أنفسهم بمعرفة قواعد اللغة ودرس
كتبها ، والتفاخر بحفظ عقائدها وجمع شواردها ، والتباهي بالاستكثار
من النثر والنظم بها ، ولأنهم اختاروا حذق اللغة شعاراً لهم ، يدل
على كرم أصلهم ، وشرف نجاههم ، وأنهم سادة البلاد وأشرافها

بيد أن ذلك لم يدم كثيراً بعد ذهاب بني أمية وملوك الطوائف :
إذ سأل سيل العامة المؤلف من الشعوب الثلاثة ، فما خص بل عم ،
وعدا على النثر كما سطا على النظم ، وشمل المتكلمين بالعربية حتى
المدرسين والأدباء ، فنظموا بها الموشحات والأزجال ، ودرسوا بها
العلوم والفنون ، واتحد في التخاطب الملوك والسوقة ، وكثر سواد

المتكلمين بها ، ولم يمنع سيلها الجارف ما كان من بنى هود وبنى الأحمر
وتعصبهم لأحيائها ، والمحافظة على أهلها : وإجلاء الأُجانب من بلادها
والأندلسيون مع تأخرهم عن المشاركة في النظم باللغة العامية
قد فاقوهم وأربوا عليهم فقد نوعوا أوزان الموشحات وافتنوا في أساليبها
وأكثرُوا من الزجل وأوزانه وأحلوها محل الفصيح ، واستعملوها
في كل أغراضه . أما المشاركة فانهم لم يزيدوا على المواليا ولم يكثروا
منه ولم يرج لديهم

هذا وأن الناظر في أزجال الأندلس وموشحاتها يرى أفاضل
سهلة وترا كيب رقيقة ، وأخيلة أنيقة ، مما يدل على أن لغتهم العامة
كانت راقية نامية

وأنت ترى أن هذه الأزجال والموشحات لا تكون معياراً
مضبوطاً لقياس اللغة العامة للبلاد: ذلك لأن لغة الأدب العامة في كل
صقع وجهة تخالف لغة المحادثة ، والسر في ذلك أن القائمين بهذا النوع
هم المتعلمون وفحول الأُدباء والشعراء ، وأمثال هؤلاء يتسرب إلى
عاميتهم كثير من اللغة الفصيحة .

وفي وصف حال اللغة يقول أبو علي البغدادي صاحب الأُمالي :
لما وصلت القيروان وأنا اعتبر من أمر به من أهل الأمصار فأجدتهم
درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها
بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاسبة

ومقايسة ؛ فقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج إلى ترجمان في هذه الأوطان ؛ قال ابن بسام فبلغني أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسي في ذكائهم ويتفطن عنهم عند المباحثة والمناقشة ، ويقول لهم إن علمي علم رواية وليس علم دراية ، فخذوا عني ما نقات فلم آل لكم ان صححت هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات والأخذ عن الثقات

وقال أيضاً يصف حال اللغة العامة في عصره

والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة مع أن كلامهم الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية حتى لو أن شخصاً من العرب سمع كلام الشلوين أبي علي المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرقت وهو يقرأ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه ، والخاص منهم إذا تكلم بالأعراب وأخذ يجري فيه على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والمحاطبات والرسائل

الخطابة

أهل الاندلس أصحاب بداهة ، وعارضة ونباهة ، وحفظ ورواية وفكر ودراية ، إن نثروا بهروا ، وإن نظموا سحروا ، وإن خطبوا أعجبوا ، وإن كتبوا أطربوا ، يدهشك ارتجالهم ، كما يبهرك أعدادهم ،

وقد ساعدتهم على الافتتان في القول وامتلأ أزمة الفصاحة (ولا سيما الخطابة) ما اجتمع لديهم من الأسباب التي ساعدت على نهوضها ، وعملت على رقيها ، واتساع أغراضها ، وازدياد النابغين فيها

فقد كان الولاة الفاتحون للبلاد من العرب الفصحاء ، البالغاء الأبيناء ، وأكثر جنودهم ممن يؤثر فيهم الكلام الجزل ، والقول الفصل ، وكان خصمهم الألد داخل البلاد ، واقفاً لهم بالمرصاد ، يصاويلهم في كل بلد وواد ، فلذلك كانوا أخرجوا إلى الخطابة من المعصم للكف ، والفارس للسيف ، إذ هي المحضاء الذي يلهب نار الحمية في قلوبهم ، ويذكى جمر الغيرة في نفوسهم ، ويبعث فيهم روح الأمل ، ويقطع عنهم غائلة اليأس ، ويحبيهم في بذل المهج ، ويعربهم بنيل الشهادة ، فيستमितون في الذود عن حياضهم والدفاع عن أعراضهم

وقد كانت عباراتهم في أثناء هذه المدة سهلة التراكيب ، واضحة المعاني قليلة الاستعارات ، تتجافى عن تعمقات الفلاسفة ، وتخيلات الشعراء ، يقل فيها السجع ، ويكثر الترسل ، وتكاد تنحصر أغراضها في الدفاع عن الدين ، والحض على الجهاد ، والصبر على منازلة الحوادث ، وملاقاة الكوارث ومقارعة الخطوب ، ولما حدثت الفتنة آخر مدة الولاة بن المضرية والحنينية كان التناصر للعصبية والتعصب للقبيل من أكبر أغراضها وأهم مقاصدها

وفي دولة بني أمية وملوك الطوائف كثرت العلوم والفنون ،

وعنى الناس بدرسها والمناظرة فيها ، وزخرت بمحور الحضارة وكثرت
مناحيها. وتنوعت ألوانها فتعددت اغراض الخطابة تبعاً لتعدد أغراضها
وكثرة دواعيها ، حتى قيلت فى كل غرض قيلت فيه فى المشرق ، ولا
سيما حينما استحكمت حلقات النزاع بين أهل البلاد وتفرقوا شيعا كل
مناضل عن كيانه ، ويدافع عن حياته

ومما زادها احكاماً وأهلها اقبالا تولى العظماء والأمرء أمرها ،
والمبالغة فى اكرام من يجيدها ، حتى أضافوا القضاء إلى الخطابة وجعلوا
لفظ الخطيب من ألقاب التعظيم والتشريف ، فنبه بذلك شأنها ،
وكثر مرتجلها ، وأغرى الناس بالحفاوة بها ، والعلماء بالنبوغ فيها ،
ولا غرابة فمن تنقاد له اللغة الفصيحة فى المحادثة والشعر الرقيق على
البداهة ، فهو على ارتجال الخطابة أقدر ، وهى له أطوع ، ولا
سيما عند ما شعر أهل البلاد بالبلاء الذى أحرق بهم والخطر الذى
دهمهم ، خطر العدو الذى سال سيلة الجارف ، فلم يقف أمامه قوة
ولا حول ، ولا طول ولا صول

وقد كانت عباراتها فى هذه المدة يغلب عليه السجع الخالى من
التكلف وتكثر فيها الاستعارات الرقيقة ويوجد فيها كثير من
خصائص الكتابة ، وكانت ملكتها تامة عند كثير من الأدباء
والعلماء والملوك والأمرء حتى عدت من ألزم أوصافهم وأعظم مناقبهم

وبعد هذه المدة ضعف شأنها وانحط قدرها لغلبة العجمة على أهل البلاد بل على الملوك والأمرء فظهرت فيها الصنعة وغلب عليها التكلف والتزم فيها السجع الممل وذهبت مملكة الارتجال من أهلها ، فصارت لا تقال إلا بعد تبيت واعداد وفي جمعة أو أملاك

وكثيراً ما كانوا يستعوضونها بالرسومات التي يرسلون بها إلى الناس في مواقف الخطابة كما ترى ذلك واضحاً في كتابات لسان الدين بن الخطيب

وأن القارئ في مؤلفات الاندلس كالقلائد والمعجب والمطمح والنفح والاحاطة يرى كثيراً من الخطباء الذي وصفهم هؤلاء المؤلفون بكل ما ينبغي أن يوصف به الخطيب البارع : من جودة العبارة وشدة تأثيرها والقدرة على ارتجالها مع ثبات الجأش ، وقوة القلب ، ثم إذا بحث بعد عن خطب أولئك لم تجد في هذه الكتب إلا تنقلاً يسيرة جاءت منشورة في أثناء كلامهم لا تشفى غلة الباحث ولا يمكنك أن تستدل بها تماماً على حال الخطابة . ولعل السر في هذا أن أولئك المؤلفين أرادوا التفاخر بأهل بلادهم فاختاروا من الكلام ما كان لفظه عذبةً رشيقاً ، وخياله بارعاً انيقاً ، وهذا لا يجتمع على الوجه الذي ينبغي إلا في الرسائل والشعر فاكثروا من ذكرها وبالغوا في سردها

أما الخطب فلما كان الغرض منها أن تصل إلى القلب بدون

معاناة فهم ولا معالجة تعقل ، وكانت لا تقال إلا في المجالس العامة
والأندية العظيمة ، ومثل هذه تجمع بين الطبقات المختلفة في الفصاحة
والبلاغة ، كان من المحم على الخطيب أن يتتحي فيها جانب السهولة
ويترك طريق العمل والتأنق حتى يملك اسماع الحاضرين ويستولى
على نفوسهم ، وبدهي أن الخطابة الارتجالية إلى السهولة أقرب وعن
الصنعة أبعد . أو إنهم رأوا أن الخطابة قد جمع كثير منها في دواوين
خاصة واشهر أمرها بين الناس فاستغنوا بجمعها عن ذكرها في كتبهم
أو أن هؤلاء الخطباء كانوا شعراء وكتابا أيضا كما ترى ذلك
في تراجمهم فاختار المترجمون أن يثبتوا لهم من الشعر والرسائل
ما يكون مقياسا لنبوغهم ، ومعيارا لرقيتهم ، ويتركوا الخطب

أما عدم وصول شيء منها إلينا فلعل سببه إبادة تلك الدواوين
فما أباده الأتسيان وأحرقوه من كتب العلم والدين والأدب أيام
أغارتهم على المسلمين تلك الاغارة التي كانت نتيجتها مهاجرة أهل
البلاد وامحاء سلطانهم منها

على أن ندرة الخطب لا تصلح دليلا لفقد الخطابة أو ضعفها
فهذا قس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب بلا مدافع لم نجد
له إلا خطبه واحدة كان الرسول الأمين هو السبب في بقائها. وهذا
سحبان وائل الذي خطب مرتجلا من صلاة الظهر إلى أن حانت
صلاة العصر ما تنحج ولا سعل ولا توقف ولا تلكا وهو الذي

قال له معاوية أنت أخطب العرب فلم يقبل وقال والعجم والجن والانس ، لم نجد له إلا بعض سطور تنازعه فيها بعض الاعراب

الكتابة في الأندلس

كان لأهل الأندلس عناية تامة باقتفاء آثار أهل المشرق ، فقد حاكوهم في كثير من شئونهم الخاصة والعامة ، فتشبهوا بهم في مدائنهم وعمائرهم وقصورهم ومثزلهااتهم ، حتى استعاروا لها أسماءها ، وقلدوهم في دواوينهم ونظامهم ورسومهم وكتب علومهم ، وكانوا في عملهم هذا تارة يلحقون ، وأخرى يتخلفون ، وآونة يسبقون ، وعلى هذا الحال كانت كتابتهم

ففي مدة الولاية وصدر بنى أمية كانت كحالتها في الدولة المروانية : الأثير هو المولى ، وليس للكاتب إلا أن يخط بيده ، وكانت خالية من الزخرف ، جولة الألفاظ ، متينة التراكيب ، بدوية الأساليب ، موجزة العبارات ، واضحة المعاني ، وكانت أغراضها محدودة ، إذا لم يزخر بعد بحر الحضارة ولم يتسع مداها

وفي مدة زهو الأموية وملوك الطوائف تناولت أغراضها كل أغراض أهل المشرق بل زادت عليها ، فقد كتبوا في التنصّل والاعتذار والعتاب والافتخار ، والمدح والذم ، والشوق والوصف (وهو عماد كلامهم) والمجد والهزل ، والتهاني والتهادى ، والرثاء والاقتضاء ،

والمناظرة والمنافرة ، والاستزارة والشكوى ، والوصية والعناية ، وفي
العقود والعهود ، الى غير ذلك مما تراه منشوراً في كتبهم
أما العبارة الاندلسية فقل فيها ما شئت ، من ألفاظ قاسمت
الصباح تنفسه ، والسحر نفثه ، والشمس ضوءها ، والنجوم تلاًلؤها ،
ومن معان تكاد تظهر من المباني ، وتتحدى بها لبات الغواني ، ومن
أساليب اكتسبت رقة الماء ، ولطف الهواء ، قد وشحت بتشبيهات
كالنسيم غب المطر ، وتنفس الأنوار وقت السحر ، والترجس
الغض والورد الندي ، والاقحوان المنور ، وتحلت باستعارات تستعير
منها الأنهار عذوبتها ، والطيور سجعها ، والعذارى حليها ، والرياض
نورها ، ولن تجد لهم رسالة تخلو من الاستعارات والتشبيهات ،
وأكثر ما يكون ذلك بالسماء ونجومها ، والجداول ومائها ، والطيور
وهديلها ، والسحب وأشكالها ، والرياض ونضرتها ، والخر وندمانها ،
يدمجون ذلك في أثناء كلامهم بل يستطردون اليه استطراداً ، بعثهم عليه
حال بلادهم ، ورقة هوائهم ، وصفاء أجوائهم ، ووفرة محفوظهم
وقد اختاروا السجع القصير القواصل ، لرنته في السمع ، وتأثيره
في الطبع ، ولما فيه من النظام وجودة التقسيم ، وتغالوا فيه حتى
أربوا على المشاركة ، فلا ترى لهم رسالة الا والسجع قد عمها ، وانبت
في كل فصولها ، بل ولعوا به ، فألفوا به الكتب ، ودونوا التواريخ ،
ولم يزل لهم فيه قلم ، ولا كبا لهم جواد ، بل أتوا به في ذلك كله أرق

من النسيم ، وأشرق من المحيا الوسم ، وألصق بالنفس ، وأطبع
في القلب ، وأملك للسمع

ولما في بلادهم من حسن التنسيق ، وجمال المناظر ، غلب عليهم
الخيال الشعري ، فظهر جلياً في رسائلهم ، فإذا ما قرأت رسالة خلت
إنك بين غصن آس ، وظبي كناس ، أو روضة قد أينعت ثمارها ،
ودوحة قد تهدلت أغصانها ، أو سماء تحلبت أشداقها ، وأودية سال
سيلها ، أو أنك تسمع خرير ماء ، وتصفيق هواء ، أو تغريد بلابل ،
وترجيع عنادل

ولقد كتبوا على هذه الطريقة الرسائل الضافية في الجد والهزل
والكتب السابغة ، في الموضوعات الخيالية ، كما كان شأنهم في المناظرة ،
والمفاخرة بين حيوان وحيوان ، وبلد وبلد ، وأداة وأداة ، وأول
مناظرة بين السيف والقلم كان مطلع شمسها من المغرب لا من
المشرق

وقد عنوا بشحن أذهانهم بالأبيات العذبة ، والحكم الرائعة ،
والأمثال السائرة ، والتشابه العقم ، فإذا ما كتبوا استعاروا من البحر
تدفقه ، ومن السيل انحداره ، فسالت قرائحهم ، فأطالوا وأطنبوا ،
وأكثروا من حل الأبيات وسردها وبثوا الأمثال ، ونشروا التشابه
ولمحوها إلى الوقائع والقصص ، حتى كان الاطناب من أخص أوصافهم ،
ومن أدل الأشياء على كتابتهم ، والاسهاب الغالب عليهم في التشبيهات

والاستعارات والاستطرادات في الأوصاف لا في المقدمات ، والموجز
من رسائل الاندلس قليل نادر

ولقد منحوا أنفسهم الحرية في اختيار المبدأ والختم ولم يلتزموا
شيئاً من ذلك فيما يكتبونه للعلماء والأثرياء ، والسلاطين والخلفاء ،
والقضاة والخطباء ، وفي العقود والعهود ، والكتب العامة والخاصة ،
والاخوانية والسلطانية

(٢) ولم يعبئوا بالتورية وأقسامها ، والجناس وأنواعه ، والاستخدام
وطرقه ، بل تركوا ذلك يأتي في كلامهم عفواً بلا قصد . وقد استعمل
بعضهم نوعاً منه وروى فيه بمصطلحات العلوم ، وأسماء السور وعظاء
الرجال والشعراء فغث كلامه وسمجت عبارته

(٣) ولم يهتم الاندلسيون في رسائلهم بما كان يهتم به أدباء المشرق
من الحفل بالألقاب وأنواع الدعاء وتحديد كل ذي مرتبة لقباً
خاصاً ، ودعاء كذلك ، بل لقبوا بما شاءوا ، ودعوا بما جادت به
خواطيرهم

وكان من عاداتهم في السلطانيات والاخوانييات أن يستعملوا
خطاب المواجهة فيقولون لك وعليك ، ومنك واليك
ثم أخذت الكتابة بعد هذه المدة يتقلص ذكرها ، ويذهب
رواؤها ، ويظهر فيها التكلف ، وتمحى خصائصها شيئاً فشيئاً ، فذهب
منها الاستكثار من التشبيه البديع ، والاستعارات الفائقة ، وقلت

السلامة النادرة ، والسجع القصير الفواصل ؛ وصدر بعض الرسائل السلطانية بالالقاء الخاصة والرسوم المحدودة ، وبقي فيها السجع الطويل الفقرات والاطناب الممل ، ومن الأغراض التي ظهر فيها الاطناب واضحاً رسائل الشكوى والاستشفاع برسول الله صلى الله عليه وسلم والاولياء والصالحين وأولى السطوة من السلاطين ، كما كان ذلك في رسائل لسان الدين بن الخطيب التي كان يرسلها مع الحجاج لتقرأ عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث فيها مما حل بأهل الأندلس من عدو الدين المتغلب على المسلمين ويستمطر بها الرحمة ويرجو المعونة ، وذهب خطاب المواجهة وحل محله الخطاب مع ميم الجمع ، ومع هذا كله بقيت الكتابة وفيها آثار الجمال والرونق حتى استولى العدو على البلاد وانتقل كثير من أهلها إلى بلاد المغرب فكان منهم الكتاب المشهورون والشعراء المتقدمون

الشعر في الأندلس وأسباب نهضته

كان الشعر مدة الولاة وصدرًا من بني أمية يشابه كثيراً حاله في الدولة المروانية : عبارة جزلة ، ومعان واضحة ، وأساليب بدوية ، وخيال فيه شيء من رونق الحضارة ، من أهم أغراضه التشويق إلى الأوطان ، والحث على الجهاد ، وفتح البلاد ، والدعوة إلى العصية وفي مدة زهو الأمويين وملوك الطوائف ، رقت ديباجة

الشعر ، وسحر خياله ، وتألق ضوؤه ، وتفجرت أنهاره ، ونضجت ثماره ، وسلسست تراكيبه وتنوعت أساليبه ، تنوع ألوان الأزهار في مختلف الاشجار ، وتعددت فنونه وأغراضه ، وكان الوصف واسطة قلاذتها ، وغرة جبينها ، وولع به الخلفاء والأمراء ، والفقهاء والوزراء ، والصناع والتجار ، والعالم والعامى ، والعربى والعجمى ، والأماء والحرائر ، والشيب والشبان ، حتى صار ملهيج لسانهم ، ومربيع أنسهم ، ومرتع لهوهم ، ومنبع بدائعهم ، ومصدر روائعهم ، ومثير دقاتهم

ذلك لأن القوم من أصل عربى ، فد فطروا على الشعر وأولعوا به ، يهزهم منه ما دق نظامه ، وصقلت أطرافه ، ودبجت حواشيه ورق خياله ، وأمدتهم بلادهم بما وسع مدى الخيال أمامهم وأورثهم التفتن فيه : من سماء صافية الأديم ، ساطعة الكواكب ضاحية الشمس ، ومن رياض وجنان ، وغوان حسان ، وولائد وقيان وأرض خضراء ، وأودية فيحاء ، وانهار متدفقة ، وبحار زاخرة ، وسفن ماخرة ، وجبال شامخة ، وقصور باذخة ، ونعم وزخرف ، وحضارة وترف ، واتساع ملك ، وضخامة سلطان ، وجاه واسع ، وعز سابغ ، ورقة ومجون ، وخلاعة وهزل ، وخمر وندمان ، وبهجة ذات ألوان — وضاعف حب الشعر في نفوسهم ما كان من حفل الملوك به والأمراء ، والسيادة والعظاء ونظمهم قلائده ، وحفظهم

شوارده ، وأخذهم أولادهم به ، وحشهم على التمسك بأهدابه ، والاعتصام
بعراه ، وأغداقهم على أهله العطايا الجزيلة ، والهبات الوفرة ، حتى
كثر المتكسبون به ، ورفه حالهم ، وانقطعوا إلى الملوك والخلفاء ،
والقواد والأمرء ، ومن أتم الأسباب التي ساعدت على نهوض
الشعر وكثرة الشعراء تقليد الملوك لكثير من مجيديه (وان انحطت
بيوتهم) المناصب العالية ، والدرجات الرفيعة ، حتى اتخذوهم بطانة
وندماء ، وأنصاراً ووزراء وحتى أسلموا إليهم قياد أمورهم ، ووكلا
إليهم مهام شئونهم ، فاستسفروهم إلى الأعداء بل استنابوهم في جميع
الأشياء ، أضف إلى هذا شدة شغفهم بمحاكاة أهل المشرق ، في
استكثارهم من الشعراء والمغنين ، واجزال الصلوات لهم ، والمسامرة
معهم ، ونظمهم للشعر ، وتمكنهم من نقده ، فقد حاولوا أن
يحاكوا في ذلك كله حتى اتخذ بعضهم داراً لأنشاد الشعر خاصة
يحضرها الملك ويؤمها الشعراء يوم الاثنين من كل أسبوع :
لينشدوا ما جادت به قرائحهم ، وليكون التنافس أداة لتحريك
عقولهم ، وألهاب نار الاختراع في نفوسهم ، فينمو عديدهم ،
ويكثر مجيدهم ، وكثيراً ما كانت الملوك تتنافس في اصطفاء الوزراء
المفلقين في الشعر ، البارعين في الكتابة ، حتى بلغ بهم
هذا التنافس إلى أن دسوا الدسائس للافساد بين بعض النابغين
وملوكلهم ليظفروا بهم ، فيحوزوا قصب السبق .

ثم أخذ حال الشعر يتغير ، وظله يتقلص ، ولا سيما مدة دولة المرابطين والموحدين ، وإن كان فيهم من الملوك من يفهم الشعر ويثيب عليه .

وفي مدة بني الأحمر أوردت أغصانه واثمرت ، ولكن ثمرتها لم تنضج لكثرة الفتن الداخلية ، وتغلب العدو على البلاد وانقراض أهلها وإليك كلمة موجزة في أغراض الشعر وفنونه ، ولفظه وأسلوبه ، ومعانيه وأخيلته ، وأوزانه وقافيته ، مدة زهو الأندلس

(أغراضه) لم تخرج أغراض الشعر الأندلسي عما كانت عليه في المشرق وإن تنوعت بعض التنوع تبعاً لما اقتضاه الحال

ذلك لأن علم أهل الأندلس وأدبهم ومدنيتهم وصلت إليهم من المشرق ، أما بنقلهم لها بالتعلم فيه ، وأما لانتشارها فيهم بانتشار الوافدين منه ، وأما باقتباسهم لها من كتبه التي كانوا يبذلون النفيس في اقتنائها فقد نقل إليهم فيما نقل جل دواوين الشعراء وهي مفعمة بأغراض الشعر المتعددة من نحو فخر وحماسة ، ومدح وهجاء ، وتهنئة وورثاء ، ووصف خمر وندمان ، ونساء وغلمان ، ورياض وجنان ، وعبث ومجون ، وتصوف وزهد ، وحكمة وفلسفة ، فها كوههم في ذلك كله ، فكانوا في بعضها لا يشق لهم غبار ، وظفروا من بعضها الآخر بما ظفر الفرزدق من نوار ، وغلب عليهم الوصف بأنواعه . وورثاء الممالك الزائلة ، والمدن والبلدان ، والاستغاثة والاستنجاد بالرسول

المصطفى عليه الصلاة والسلام وكبار الصالحين ، وأولى القوة من
السلاطين ، ونظم العلوم والفنون ، والهزل والمجون . والسرف في نبوغهم
في الوصف أن حسن مناظر بلادهم ، وكثرة انتشار الجمال بأرضهم ،
وتوافر أسباب الخلاعة واللهو لديهم اغراهم بجودته والتوسع فيه
والاهتمام بأمره حتى أحلوه محل النسيب ، وصدروا به القصائد الضافية
والمطلع على شعرهم يرى أنهم قد وصفوا الرياض وأشكالها ،
والأشجار وأقسامها ، والأزهار على اختلاف ألوانها ، والثمار على تعدد
ضروبها ، والطيور وأسرابها ، والأنهار ومدىها ، والبحار وأمواجها ،
والبرك وماءها ، والخضر وأنواعها الى غير ذلك من المناظر الطبيعية
ووصفوا أيضا السحب وتراكبها ، والرعود وأصواتها ، والبروق
ولمعها وقوس قزح وألوانها ، والأمطار وماءها وبردها ، والسماء ونجومها
والشمس وشروقها وغروبها ، والشفق وألوانه ، وغير ذلك من
الحوادث الجوية

وتفنتوا في وصف الأساطيل البحرية ، والجيوش البرية ، والمعارك
الدموية ، وكل ما يختص بالحرب ونشوبها ، لكثرتها في بلادهم أول
أمرهم وآخر مصيرهم ، وبالغوا في وصف الحضارة ونعيمها ، فوصفوا
القصور الفخمة والمصانع الضخمة ، والتماثيل الجميلة ، وفوارات المياه ،
الى غير ذلك من جليل ودقيق ، وحسن وقبيح ، وحسى وعقلى ،
وصفا يشهد ببراعتهم ، ويدل على تمام ذوقهم ، وكمال استعدادهم .

وكان وصفهم واضحا مفصلا ، مرتبا منسقا ، وعنوانا على مدنتهم ،
ومعيارا لحضارتهم ، ورسميا جليا لا تارنعيمهم

أما رثاء الممالك والبلدان والمدن فذلك لكثرة ما كان يختطفه
العدو منها وهم بها بين ريحان وراح ، وأنس وأفراح ، فيصبحون
وقد عمهم الشقاء ، وحالفتهم البأساء ، فيندبون أوقاتهم السالفة ، وإيامهم
الذاهبة ، ودولهم الزائلة ، ومن أشهر قصائدهم في ذلك قصيدة ابن
عبدون يرثي دولة بني الافطس التي مطلعها :

الدهر بفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

وقصيدة صالح الرندي التي يرثي بها الأندلس ومطلعها :

لكل شيء إذا ماتم نقصان فلا يغربطيب العيش انسان

وأما الاستنجد والاستشفاع فذلك لما حل بالبلاد من الضعف

وظهر فيها من تغلب العدو القاسي الذي لا يرحم الصغير ولا يوقر

الكبير ، ولا يبالي الغنى ولا الفقير فضجوا بالشكوى إلى من يعينهم

على عدوهم ، ويدفع غائلته عنهم ، ومن أشهر قصائدهم في ذلك

قصيدة الوقشي البلاسي ، يستنجد فيها بأحد ملوك الموحدين ومطلعها

أبت غير ماء بالنخيل ورودا وهامت به عذب الحمام برودا

وقصيدة لسان الدين بن الخطيب التي يخاطب بها ملك المغرب

من بني مرين وأولها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

وقصيده التي أرسلها إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومطلعها :

إذا فاتني ظل الحمى ونعيمه فحسب فؤادي أن يهب نسيمه
وأما نظمهم العلوم والفنون فلائن القوم لكثرة ممارستهم للشعر
سهل عليهم تعليقه فنظموا العلوم ليسهل عليهم حفظها وليكون أثراً
باقياً بعدهم ومزية لبلادهم ، فنظموا كثيراً من العلوم كالنحو ورسم
الحروف والقراءات والفقه والتاريخ إلى غير ذلك .

ومن أول هذه المنظومات أرجوزتان في العروض والتاريخ
لابن عبد ربه ، ومنها ألفية ابن مالك ، واللامية ورائية للشاطبي
في القراءات ورسم المصحف .

ومما لم يخضع لهم من الأغراض أبيه ، ولا أنس لقائدهم نافرته ،
الشعر المشتمل على الحكم البارة ، التي سارت مسير الأئمة كشعر
المتنبي وأبي تمام وصالح بن عبد القدوس ، أو على الأغراض الفلسفية
كشعر أبي العلاء المعري ، أو على الوعظ والتزهيد كشعر أبي العتاهية
وسبب هذا واضح : لأن الأول والثاني يحتاجان إلى علوم
الفلسفة وهم لم يحفلوا بها مدة زهوهم ، ولا أعاروها التفاتهم ،
ولما يحتاج إليه نظم هذا النوع من كد الفكر وهم يحبون من الشعر
ما يأتي عفوا سهلاً

أما الزهد والتصوف فلائن بلادهم بلاد أنس وسروو ، وعجب
وخيلاء لا بلاد تصوف وزهد .

وقد غنى بعض علمائهم بالتصوف والزهد والحكم ونشروا فيها
ونظموا وذلك مثل محيي الدين بن العربي وأبي عثمان التيجاني ولسان
الدين بن الخطيب

(لفظه وأسلوبه) كانت ألفاظ الشعر في الاندلس عذبة رقيقة
وأساليبه طليّة رشيقة ، ولا سيما ما كان منها في الغزل والشكوى من
الدهر وصروفه ، تقرأ القصيدة الضافية مدة زهوا لا ندلس فلا تحتاج
إلى معجم لشرح كلمة كما أنك لا تكدر فكرك لفهم تركيب ، بل تقرأ
الألفاظ فتأتيك معانيها أرسالا وإذا تتبعته كثيرا من قصائدهم رأيت
أساليبها توصل المعاني إلى الأذن بدون استئذان ، وتعلق بالقلب
بدون الكد ، يمتقنون ازدحام المعاني وحشدها وتحميل الألفاظ منها
فوق طاقتها ، كما يمتقنون الاستكثار من البديع حتى تضع المعاني في
خلاله ، أما استعاراتهم وتشبيهااتهم فلا يضارعهن فيها مضارع ولا
يشاكلهم فيها أحد

(معانيه وأخيلته) كانت معاني الشعر واضحة جلية ، بعيدة عن
تعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء ، وذلك لقلة المشتغلين منهم بذلك
ولأن أكثرهم يميل إلى عدم الصنعة والتكلف حتى كثر فيهم
المرتجلون للشعر الحسن ، وقد ألم بن ظافر في كتابه بدائع البدائع
بشيء من ذلك

وكانوا كثيرا ما يلمحون إلى الحوادث الجلي ، والوقائع الكبرى

ولا سيما ندب الممالك الزائلة والبلاد الساقطة في يد العدو
وكان الخيال هو الغالب على معانيهم ؛ لما علمت من ولوعهم
بالوصف لاستكمال أسبابه من أمور طبيعية ، وحوادث جوية واتساع
نعيم وزخرف ، على أنه هو مادة الشعر بل هو الشعر كله .
(أوزانه وقافيته) لم يحمد الأندلسيون على ما ورثوه من أوزان
الشعر العربي والموالي بأنواعها بل زادوا عليها وتفننوا فيها أيما تفنن ،
واخترعوا ما يسمى بالموشحات والأزجال

ابن زيدون

قال ابن نباتة المصري : هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن
أحمد بن غالب بن زيدون الخزومي الأندلسي الكاتب الشاعر المشهور
ولد بقرطبة سنة ٣٩٤ وكان من أجل أبناء الفقهاء المشهورين ، واشتغل
بالأدب وفحص عن نكته ونقب عن دقائقه إلى أن برع وبلغ في صناعتي
النثر والنظم المبلغ الطائل ، وانقطع إلى أبي الوليد بن جهور أحد ملوك
الطوائف المتغلبين بالأندلس ، فحلف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره
وقدره ، واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب
به القوم وتمنوا ميله إليهم لبراعته وحسن سيرته ، واتفق أن ابن جهور
نقم عليه أمراً فحبسه ، واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقصائد بدعية
فلم تنجح ، فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب أشبيلية الملقب بالمعتضد
فتلقاه بالقبول والأكرام وولاه وزارته ، وفوض إليه أمر مملكته ،
وكان حسن التدبير تام الفضل متحياً إلى الناس فصيح المنطق جداً .

منزلته في الكتابة

قدمنا لك أن الأندلسيين مولعون بتقليد الشرقيين في كل شيء ولا سيما الأمور الأدبية وقد ظهر ذلك جلياً في الرسالة التي أنشأها ابن زيدون على لسان ولادة بنت المستكفي التي عبث فيها بالوزير ابن عبدوس وهي المشهورة بالرسالة الهزلية فإنه نحا فيها منحى الجاحظ في رسالته التي همز فيها أحمد بن عبد الوهاب الكاتب البغدادي المسماة بالتربيع والتدوير

وقد تفنن ابن زيدون في رسالته هذه فأودعها كثيراً من الأمثال تارة بلفظها، وأخرى بالإشارة إليها، وآونة بتضمين معناها، وأضاف إلى ذلك نثر كثير من الأبيات الحكمية، وتضمينها في تضاعيف عبارته واهتم فيها بالتلميح إلى الرجال المشهورين والحوادث الجلي، متبعاً في ذلك خطة التهويل فيما ارتكبه فيها من التشبيه والفروض والأقيسة وصاغ ذلك صياغة العبقرى الماهر والكاتب القادر، فدل على سعة اطلاعه وطول باعه، وتصرفه في فنون الأدب ومختلف العلوم، وقدرته على الهجاء المقذع والتهكم الشنيع، كما دل على مهارته في امتلاك قلوب القراء ودفع السائمة عنهم واغرائهم بقراءة ما يخطط وإن دل على ثروة وفحش، ونم عن غلظة وجفاء طبع وغثاثة رأى، وعن حقد وحسد وانتقام

ثم قفى على آثارها برسالة أخرى كتب بها لابن جهور وهو فى حبسه يستعطفه بها وهى التى اشتهرت بعد بالرسالة الجديدة نحا فيها ذلك المنحى

بيد أنه غنى بها العناية كلها لفظا ومعنى وأسلوبا وسبكاً ، وكان الحبس أطلق لسانه وبياناً ، وهاج شعوره ووجدانه ، فجمع فى هذه الرسالة ما يوصله إلى مآربه ويقربه من مقصده : من أفكار المتقدمين وآراء السابقين ، وظهرت فيها نفسه الكبيرة وشممه العالى ، كما ظهر فيها حسن تنسيقه لما أراد أن يذكر فيها من المعانى والأغراض ، فقد أبان فيها حسن مدافعته عن نفسه ، ونشر فيها ما أثره ومفاخره ، واستعرض فيها خدماته لمولاه وإخلاصه له وولائه ، وشدة عصبه بأذياله واعتصامه بحباله ، على كثرة الداعين إليه والراغبين فى أدبه ، وجلى له حيل المحتالين ، وأعمال النظراء الواشين ، والحساد والمفسدين وأغراه بالعفو بعد ما صدر منه من أنواع الإساءة ، إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد المنطوية فى غضون هذه الرسالة . ولم يحفل فيها بالسجع غالباً كما هى طريقة الأندلسيين ، وكأنه كان يريد بهذه الطريقة أن يدل على غزارة مادته وسعة محصوله ، وقوة استحضاره وكمال استعدادده للتلاعب بالألفاظ والمعانى ، ليظهر فوقه على ابن عبدوس ليكون ذلك سبباً فى اختصاصه بولادة ، وليذكر ابن جهور بما له من المزايا الفائقة فى فنون الأدب فيكون ذلك شافعاً له عنده إذ كان

تنافس الملوك في الحصول على الشعراء والكتاب أمرا مستقيضا عند
ملوك الطوائف

ورسائل ابن زيدون الأخرى فيها لوثة من هذه الطريقة وليست
على نسقها تماما ، والظاهر أن هذه الطريقة لم تكن ملتزمة له إلا في
هذا النوع من الكتابة ، لأنه رأى أن الاغراق في المجون والمبالغة في
الاستعطاف يستدعيان الالمام بكل ما اشتهر فيهما من حكمة بارعة ،
ومثل سائر ، وبيت حكيم

أما كتابته الأخرى فهي إلى طريقة المشاركة أقرب منها إلى
طريقة المغاربة لما فيها من ربط الأسباب بمسبباتها والسير بها وراء
الفكر والتعقل وكثرة الأقيسة وعدم التزام السجع والزخرف مع قلة
التشابه والاستعارات المنتزعة أخيلتها من الطبيعة

منزلته في الشعر

انتشر المجون في البيئة التي عاش فيها ابن زيدون وكثرت فيها
مغاني الأئس والطرب ، وأندية العلم والأدب ، وخب فيها ابن زيدون
ووضع ، وكان علما من أعلامها ، وفارسا من فرسانها ، يتعاطى فيها
كئوس اللهو صافية ، وينشر فيها كلاما كالمدام ، وشعرا كالسحر ، واتصل
هناك بولادة بنت المستكفي وكلف بها وكلفت به ، وكان بينهما ما يكون
بين العاشق والمعشوق : من سخط ورضى ، وقرب وبعد ، وحب
وصد ، وجزر ومد ، ووصل وفصل ، وكان اتصاله بها (على ما فيها

من بارع الجمال وغض الأذب ، وجميل النادرة ، وجيد الشعر ،
وظريف الحديث (سبباً لاثارة منافسات بينه وبين الوزير ابن عبدوس
قد طار شررها ، واستطار شرها ، فألهبت فؤاده ، وأظهرت كامن
فكره ، وأشعلت نيران هواه ، هذا إلى ما تقلب فيه ابن زيدون من
سراء وضراء ، وشدة ورخاء ، ونضارة حال ، ورغد عيش ، واتساع
جاه ، وقوة سلطان ، ومحاربة حساد ورقباء ، ووشاة وأعداء ، وانهمزام
في ميدان الجهاد ، وحبس واعتقال ، وحرية واستقلال

كل هذا أثر في شعر ابن زيدون فجعله خفيف الروح ، عذب
اللفظ ، واضح المعنى ، حسن الخيال ، مؤثراً في النفس ، لأنه يصور
ما فيها فيحكم التصوير ، ويخرجه للناس كما هو في الضمير ، وكل ما خرج
من القلب حل في القلب ، فقد كان أكثر شعره تعبيراً عما في نفسه
ليان أنسه وبؤسه ، وكان في عشقه يصف ما يخامر فؤاده من
لواعج الحب وآلام الوجد ، ويتشوق في أيام بعده إلى اللقاء ويتشوف
ويذكر الأيام الماضية وما كان فيها من غضارة ونضارة ، وسعادة وسرور
ويستعرض أمامه أما كن اللهو ومواطن الاجتماع ، وظريف النوادر
وجميل المؤانسات ، ليسلى نفسه ويذهب شجنه

وفي أوقات حبسه يذكر ما يساوره من الوجوم ، وما يتتابه من
الهموم ، ويفخر على أعدائه ، ويتجلد أمام حساده ، وبين فضائله

وما أثره ، ويستعطف مولاه بما تآين له القلوب القاسية ، وتندك
له الجبال الراسية

أما مدحه وان اقتصر فيه على الملوك الفخام ، والأمراء العظام ،
فليس له فيه من المعاني المبتكرة ، والأفكار الجديدة ، ما يتناسب مع
قدره ، ويتلاءم مع جلال شأنه

وجملة القول فيه أنه بحترى المغرب كما قال فيه أدباء الأندلس ،
وذلك لجودة صياغته ، وحسن ديباجته ، وجمال خياله ، ورقة لفظه ،
وسلاسة أسلوبه ، ووضوح معناه ، وجلال أثره في النفوس وموقعه
من القلوب

ومن محاسن شعره :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا	وآن عن طيب لقينا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا	شوقا اليكم ولا جفت ما قينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا	يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فعدت	سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تالفنا	ومورد اللهو صاف من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأنس دانية	قطوفها فجنينا منه ما شينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا	بأن نعص فقال الدهر آمينا

ومن بديع انسجاماته :

ودع الصبر محب ودعك	ذائع من سره ما استودعك
--------------------	------------------------

يقرع السن على أن لم يكن زاد في تلك الخطا إذ شيعك
يا أخا البدر سناء وسنا حفظ الله زمانا أطلعك
أن يطل بعدك ليلى فلکم بت أشكو قصر الليل معك
ومنها :

يبنى وبينك ما لو شئت لم يضع سر إذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعا حظه منى ولو بذلت لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبي ما لا تستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعزاهن ودل أقبل وقل أسمع ومر أطمع
وشعره كثير في القلائد والنفح وغيرهما فارجع إليه إن شئت



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله . والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى
آله ومن والاه .

(قال صاحب الرسالة الفاضل ابن زيدون)

يا مولاي ^(١) وسيدى ^(٢) .

(١) (المولى) له معان كثيرة : الأليق منها هنا السيد أو المنعم ومنها العبد
أيضاً قال أبو تمام

(مولاك يا مولاي صاحب لوعة فى يومه وصباة فى أمسه)
(دنف يجود بنفسه حتى لقد أمسى ضعيفا أن يجود بنفسه)
وقال أبو اسحق الغزى

ولن يتساوى سادة وعبيدهم على أن أسماء الجميع موالى
(٢) (السيد) من ساد على قومه وارتفع بمناقبه ومزاياه بدون توقف على
أصالة أو نسب

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما
وقال عامر بن الطفيل

فما سودتنى عامر عن كلاله ائى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكننى أحمى حماها وأتقى أذاها وأرمى من رماها بمقنب
وهو أخص مما قبله وذكر لمزيد الاستعطاف
والعرب تقدم المولى على السيد قالت الخنساء

الذى ودادى^(١) له . واعتمادى^(٢) عليه . واعتدادى^(٣) به . وامتدادى^(٤) منه . ومن أبقاه الله ماضى^(٥) حد العزم^(٦) . وارى^(٧) زند^(٨) الامل^(٩)

وان صخرنا لمولانا وسيدنا وان صخرنا اذا نشتو لنحار
ومن نعت السيد عند العرب : أن يكون لحماً ، ضخماً الهامة ، جهير الصوت .
اذا خطأ أبعد ، واذا تأمل ملاً العين مهابة ، لأن من حقه أن يكون في صدر
مجلس ، أو ذروة منبر ، أو منفرداً في موكب . ومن الأيجاز في وصفه قولهم :
يملاً العين جمالا ، والسمع مقالا .

ويقال للرجل سيد . وللمرأة سيدة قال الشاعر
أشارت الى بغضابة مخضبة من دم الافئدة
وقالت على العهد ياسيدى فقلت الى الحشر ياسيده
أما السبت فعلى التأويل قال البهاء زهير

بنفسى من اسميها بستي فترمقى النجاة بعين مقت
يرون بأننى قد قلت لحناً وكيف وائى لزهير وقى
وقد ملكت جهاتى الست حقاً فلا عجب اذا ما قلت ستي
(١) محبتي (٢) اتكالى (٣) عدتى ليوم حاجتى (٤) مزيد خيرى
وقد تلاعب الشعراء بهذا النوع من البديع المسمى بالترصيع ، وهو تعداد
الكلمات المتشابهة النسج معداة بحروف جر مختلفة
قال الصفدى

كتبت لمولى نأت داره وسينات حالى وقف عليه
فسعني اليه سموى به سؤالى عنه سلامى عليه
(٥) قاطع (٦) قوة الارادة (أى لايعزم على أمر إلا امضاء) (٧) (الورى)
خروج النار من الزند وقت الاقتداح (٨) مقدحة (٩) الرجاء (أى اذا رام
أمراً أدركه)

ثابت (١) عهد (٢) النعمة . إن سلبتني (٣) أعزك (٤) الله لباس (٥) نعمائك
وعطشتني (٦) من حلي (٧) إيناسك (٨) . وأظمأتني (٩) الى برود (١٠) .
اسعافك (١١) . ونفضت (١٢) بي كف حياطتك (١٣) . وغضضت (١٤)
عني طرف (١٥) حمايتك : بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي (١٦) لك .

(١) متمكن متوثق (٢) ميثاق (أى نعمته ثابتة ومحفوظة عليه أبداً) قال
الصولي أخذ الكتاب قوهم في الدعاء (وأتم نعمته عليك وزادها) من قول
عدي بن الرقاع

صلى الاله على امرئ ودعته وأتم نعمته عليه وزادها .
افتتح رحمه الله تعالى رسالته الاستعطافية بما يشير الى مقصوده وهو استعطاف
الامير وطلب الصفح منه فاستهلها بعبارة الاطناب التي تعطف القلوب القاسية
وتجذب الألباب القاسية ، وتفجر ينابيع العفو من صخور الافئدة ، وكيف لا
وقد جعله مولاه وسيده ، وعضده وساعده ، وأن محبته مقصورة عليه ، وأنه
هو الملتجأ اليه ، وأنه يطلب من الله أن يبقيه وعزمه سيف قاطع ، وأمله نور
لامع ، وخيره غيث متابع ، وأنه لحسن افتتاح وبراءة استهل

(٣) انتزعت مني (٤) (أعزك الله) جملة اعتراضية الغرض منها الدعاء لسيدته
بالعزة والاشارة الى ما يستلزمه سلب اللباس من المذلة وتنبيهاً له على ذلك
(٥) ما يوارى الجسم (أى جردتني من نعمك المحيطة بي) (٦) العطل خلوجيد
المرأة من القلادة (٧) ما يتحلى به (٨) أنسك (أى حرمتني من لذيذ أنسك)
(٩) أعطشتني (١٠) بارد (١١) إنجادك (١٢) طرحت (١٣) احاطتك
(أى طرحتني من كف حوزك لي) (١٤) خفضت (١٥) نظر (أى خفضت
طرف وقايتك عني فتركتني غرضاً لصائبات الحوادث) (١٦) التأمل أمر
معنوي لا يشاهد وإنما ذلك مبالغة في شدة التلبس والاتصاف به

وسمع الأصم ثنائى (١) عليك . وأحسن الجهاد باستحادي (٢) إليك .
فلا غرو (٣) قد يغص (٤) بالماء شارب به . ويقتل الدواء المستشفى به .
ويؤتى الحذر (٥) من مأمنه (٦) . وتكون منية (٧) المتنى فى أمنيته (٨) .

(١) مدحى (مبالغة فى انتشار مدحه) (٢) حمدى (مبالغة فى تأثير حمده) — يشير الى تعداد ما حل به من المصائب وأحرق به من كل جانب : من تجريده من نعم الأمير المحيطة به احاطة الثياب ، وحرمانه من الانس بذلك الجناح ، واعطاشه الى سريع اغائته ، واخراجة من محيط دائرته ، وصرفه عنه نظر ملاحظته ، خصوصاً بعد أن صير تأمله فيه جسماً مخترعاً ، ولذا رآه الأعمى ، وحلى مدحه بما جذب به اليه الآذان فدخلها بدون استئذان ، ولذا سمعه الأصم ، وبذل قصارى جهده فى حمده حتى كان مؤثراً فى كل الكائنات ، ولذا أدركه الجمادات ، وفيه من المبالغة ما فى قول المتنبي

(أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلمائى من به صمم)
وانما أكثر من تعداد مصائبه ليكون ذلك أدل على توجعه وتألمه وأسرع لتلبية ندائه وأمكن لجلب الصفاء وازالة الجفاء . وقد شاع هذا بين الشعراء قديماً وحديثاً
قال الشاعر

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل
وقال الحماسى

أسعجنا وقيدا واشتياقاً وغربة ونأى حبيب أن ذا لعظيم
وان امرأ دامت موافيق عهده على مثل ما لاقيته لكريم
(٣) فلا غرو أى عجب الفاء واقعة فى جواب أن من قوله ان سلبتني (٤) غصصت بالماء أغص
غصصاً إذا شرقت به وأغصصته أنا (٥) المتيقظ (٦) محل أمنه (٧) موت (٨) ما يتمناه

والحين (١) قد يسبق جهد (٢) الحريص .

(كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة (٣) الحساد)

(١) الهلاك (٢) طاقة (٣) الفرح في بلية الغير — يقول إن انتزعت مني ما أعطيت ، وأحلت لي من المصائب ما أحلت ؟ بعد غلوى في الثناء عليك ، والتجأئي في كل الأمور إليك ، فليس ذلك بالأمر العجيب ، ولا بالنادر الغريب ، بل هو كثير النظائر والأمثال ، فالماء الذي به إزالة الغصص قد يكون هو المغص ، وإن الأمانة قد تكون فيها المنية ، وأن وأن يشير في عبارته إلى قول الفرزدق
فلو كان هذا الحكم في غير ملككم لبؤت به أو غص بالماء شارب
وفي هذا المعنى يقول بعضهم

من غص داوى بشرب الماء غصته فكيف يصنع من قد غص بالماء
وقال عدى بن زيد

لو بغير الماء خلق شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري
وقال أبو فراس الحمداني

(قد كنت عدتي التي أسطوبها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي)
(فرميت منك بغير ما أملت والمرء يشرق بالزال البارد)

ويشير بقوله ويؤتى الحذر الخ إلى قول أمية بن أبي الصلت

(تجري الأمور على وفق القضاء وفي طي الحوادث محبوب ومكروه)
(فربما سرنى ما بت أحذره وربما ساءني ما بت أرجوه)

وقول أبي بكر أحمد بن علي

(كم شارب عسلا فيه منيته وكم تقلد سيفاً من به ذبحا)
وقول عدى بن زيد العبادي

(قد يدرك المبطل من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص)
والبيت الذي ذكره لابن أبي عينة من أبيات يعاتب بها ذا اليمينين

وانى لا تجلد (١) . وأرى الشامتين انى لريب (٢) الدهر لا أتضعضع (٣)
 فاقول هل أنا الايد أدمها (٤) سوارها (٥) . وجبين عض به إكليله (٦)
 ومشرفى (٧) ألصقه بالارض صاقله (٨) . وسمهرى (٩) عرضه على النار
 مثقفه (١٠) . وعبد ذهب به سيده مذهب الذى يقول

ومما قيل في الشماتة

إذا ما الدهر جر على أناس كلا كله أناخ بأخرينا
 فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
 وقال أبو تمام
 أجر ولكن قد نظرت فلم أجد أجراً يفي بسماتة الأعداء
 وقال آخر

لم يبق الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت
 ومدنف تضرم أحشاؤه بالنار الا انه ساكت
 يرثى له الشامت مما به يا ويح من يرثى له الشامت
 (١) أتكلف الصبر والقوة (٢) ريب الدهر) نوائبه (٣) أتزلزل . هذا
 حل بيت لأبي ذؤيب الهذلى وهو

(وتجلدى للشامتين أريهم انى لريب الدهر لا اتضعضع)
 (٤) أسال دمها (٥) نوع من الحلى يلبس في الساعد

وهذا مأخوذ من قول المتنبي

بنو كعب وما أثرت فيهم يد لم يدمها الا السوار
 لها من قطعه ألم ونقص وفيها من جلالته افتخار

(٦) تاجه (٧) سيف (٨) جاليه (٩) رمح (١٠) مقومه

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى

(فقسا ليزدجروا ^(١) ومن يك حازماً
فليقس أحيانا على من يرحم)

قال الخفاجي

الام اذا ما ناوش الدهر جانبي وأى حسام لا يجادث بالصقل
وقال سيف الدين المشد

أنت الحسام اذا ما هاج معترك والرمح أنت اذا ما ضاقت السبل
فلا تبالي بأمر جاء عن قدر فالسيف يضرب والخطي يعتقل

وقال ابن المدبر وقد حبس

ألست ترين الحمر يظهر حسنها وبهجتها بالحبس والطين والقار
وما أنا الا كالجواد يصونه مقومه للسبق في طي مضار

(١) يمتنعوا وهذا البيت من قصيده لأبي تمام يمدح بها مالك بن طوق
ومن قوله في هذا المعنى أيضا

يا شامتا بي إذ رأى هجر الحبيب وصده
لا تشمتن فانه مولى يؤدب عبده

وقال أبو العلاء المعري

اضرب وليدك تأديباً على رشد ولا تقل هو طفل غير محتم
فرب شق برأس جر منفعة وقس على شق رأس السهم والقلم
يخاطب نفسه ويسليها ، ويضرب لها الأمثال ويمنيها ، ويسهل عليها ما تعانيه ،
ويحببها فيما تعاديه ، مع مزيد استعطاف قلب سيده عليه ، واستجلاب رحمته
له ، اذ لم يستهجن فعله به ، وعمله معه ، فقد نزل نفسه وسيده منزلة يد الحساء
التي أجرى دمها السوار ، والحجين الذي أثر فيه تاج الافتخار ، والسيف الذي
وضعه على الترب صاقله لصقله لا لهوانه ، والرمح الذي وضعه على النار مثقفة

هذا العتب (١) محمود عواقبه . وهذه النبوة (٢) غمرة (٣) ثم تنجلي (٤) وهذه النكبة (٥) سحابة صيف عن قليل تقشع (٦) ☆ ولن يريني (٧) من سيدي ان ابطا سيده (٨) أو تأخر غير ضنين (٩) غناؤه (١٠) . فابطا الدلاء فيضا (١١) أملؤها . وأثقل السحاب مشيا

لتعديله لا لأحراقه ، والعبد الذي قسا عليه سيد درجته به واحساناً لا استخفافاً به وهو أنا

(١) اللوم (٢) الجفوة (٣) شدة (٤) تنكشف (٥) المصيبة (٦) تقاع - يقول أرجو أن يكون هذا اللوم خاتمة الجفاء فاتحة الألفة والصفاء وان هذه الجفوة شدة وتحول وسحابة لا تلبث أن تزول يشير إلى قول المتنبي

(لعل عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعلل)

وإلى المثليين العربيين غمرات ثم تنجلين . وسحابة صيف عن قليل تقشع والأول يضرب في حصول اليسر بعد العسر والثاني في سرعة التغير وفي هذا المعنى يقول جعفر بن شمس الخلافة

هي شدة يأتي الرخاء عقيها وأسى يبشر بالسرور العاجل
وإذا نظرت فان بؤساً زائلاً للمرء خير من نعيم زائل
وقال شرف الدين الأربلي

وما السجن إلا ظل بيت سكنته أرفه في أفنائه وأنعم
فكم من طليق أوثق الذل نفسه وآخر مأسور يعز ويكرم
وقد شحذ الهندي وهو مطبق وقد ثقف الخطي وهو مقوم
وما هي إلا غمرة ثم تنجلي سريعاً وإلا نبوة تتصرم
(٧) يجعلني شاكاً (٨) عطاؤه (٩) (غير ضنين) احتباس يريد به حمل سيده
على العطف ودفع ما يتوهم من أن التأخير للأيقاع به (١٠) نفعه (١١) الفيض
صعود الماء على الضفة والمراد هنا مجرد الصعود أي أبطأ الدلاء صعوداً أكثرها امتلاء

أحفلها (١) : وأنفع الحيا (٢) ما صادف جذبا (٣) . وألذ الشراب
ما أصاب غليلا (٤) ومع اليوم غد . ولكل أجل كتاب

(١) أملؤها (٢) المطر (٣) الأرض التي لانبات بها (٤) العطش
بحرارة — لما ذكر أن هذا العتب محمود العاقبة وإن ما حل به عن قريب
يزول ورأى أن تأخير الرحمة به وعدم إنقاذه من ورطته ربما يوهم الريبة
في محمدة العاقبة دفع ذلك معذراً عن سيده في هذا التأخير معللاً له
بقوله فابطأ الدلاء فيضاً أملؤها وأثقل السحائب مشياً أحفلها وغير ذلك
مما يدل على أن في التأخير ما ينعم البال ويقر الأعين ثم ختم عبارته بما هو أمثل
في التسلية وأدعى للتصبر اذ يقول ومع اليوم غد ولكل أجل كتاب . يشير
في عبارته إلى قول المتنبي :

(ومن الخير بطاء سيبك غنى أسرع السحب في المسير الجهام)
والى قول أبي تمام

يأيها الملك النائي بغرته وجوده لمراعى جوده كتب
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا ان السماء ترجى حين تحتجب
والى قول الآخر

(هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذة حتى يصيب غليلا)
وفى هذا المعنى يقول ابن حبوس
وان ألذ القرب ما قبله نوى
ويقول ابن القيسراني

الفت قلاه واستطبت مطاله وأطيب ما جاء الوصال على مطال
وقال أبو هلال العسكري

بقدر الصباغة عند المغيب تكون المسرة عند الحضور

له الحمد على اهتباله (١) ولا عتب عليه في اغتفاله (٢).

وأطيب ما كان برد الثَّغور إذا هو صادف حر الصدور
والى المثل العربى (ان مع اليوم غداً) وهو يضرب في تنقل الدول على
مر الايام وكرها

وفي هذا المعنى يقول ابن طباطبا

يا من يخاف أن يكو ن ما يكون سرمداً
أما سمعت قولهم ان مع اليوم غداً

ويقول ابن أبي الجهم

صبراً فان اليوم يعقبه غد ويد الخلافة لا تطاوها يد
ولسكل خير معقب ولربما أجلى لك المكروه عما يحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى فنجبا ومات طيبه والعود

والى الاية الشريفة (لكل أجل كتاب) اشارة الى أن لكل شىء مدة
وغاية ينتهى بانتهاؤها وينقضى بانقضائها

(١) اغتنامه (٢) تغافلته وهو تركه على ذكر منه — بعد أن اعتذر عن
سيئه بما اعتذر أخذ يمدحه على ابطائه عنه ، وعلى تلبثه فيما يطلبه منه على أن
برأف به ويعطف عليه

ومن هذا النوع قول المجنون

تطلع من نفسى اليك نوازع عوارف أن الناس منك تصيبها
وزالت زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبرى بأى أرض غروها
حلال ليلى ان تروع فؤاده بهجر ومغفور ليلى ذنوبها
وقول البهاء زهير

ومن شغنى فيكم ووجدى اتى أهوّن ما ألقاه وهو هوان

فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا فافعله اللأني سررت الوف
وأعود فأقول . ما هذا الذنب الذي لم يسمعه عفوك . والجهل
الذي لم يأت من ورائه حاكم . والتطاول^(١) الذي لم يستغرقه
تطوئك^(٢) . والتحامل^(٣) الذي لم يف به احتمالك^(٤) ولا أخلو من
أن أكون بريئا فأبن عدلك . أو مسيئا فأبن فضلك
إلا يكن ذنب فعذلك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

فهنيئ مسيئا كالذي قلت طالبا
قصاصة^(٥) فابن الاخذ ياعز^(٦) بالفضل

ويحسن قبح الفعل ان جاء منكم كما طاب ريح العود وهو دخان
وقول ابن منقذ

إذا أدمت قوارصكم فؤادي صبرت على إذاكم وانطويت
وجئت اليكم طلق المحيا كأنني ما سمعت ولا رأيت
والبيت الذي ذكره في الأصل للمتنبي من قصيدة يمدح فيها أبا العشائر
الحسين بن حمدان ويعاتبه

ومن هذا النوع قول بعضهم

إذا ما صديق أسا مرة زقد كان فيما مضى مجحلا
ذكرت المقدم من فعله فلا ينقص الآخر الاولا

وقول الآخر

وإذا الملمح أتى بذنب واحد سجات محاسنه بألف شفيع

(١) الكبر (٢) فضلك (٣) التكليف بما لا يطاق (٤) الاحتمال كالحمل إلا أنه
في الامور العظيمة قال النابغة (فحملت برة واحتملت فجار) (٥) عقابا (٦) اسم

امرأة — رجع بعد أن عود نفسه في مخاطبة الأمير الصبر والانتظار التفت
الى بيان ما في ضميره من بقايا العتب فقال يستفهمه مريداً بذلك الزامه بالصفح
عنه بتصغير ذنبه وتكبير عفو سيده . فكأنه يقول ما هذه الحركة التي زلزلت
طودك وما هذه الحيفة التي عكرت بحرك ولم لا بشملى كرمك وجودك مع أن
فضلك وعدلك أكبر شفيح للعاصي والمطيع وذكر البيتين تأييداً لما قاله في نشره
والأول للبحترى

وفي هذا المعنى يقول نصيب لمولاه المهدي

تلمست هل من شافع لي فلم أجد سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
لئن جلت الأجرام منى وأفطعت لعفوك من جرمي أجل وأوسع
ويقول اسحق الموصلي للفضل
لا شيء أحسن من ذنبي سوى أملى في حسن صفحك عن جرمي وعن زللي
وإن يكن ذا وذا في القدر قد عظم فانت أعظم من ذنبي ومن أملى
ويقول الأمام الشافعي

ولما قسا قلبي وضلقت مذاهبي جعلت الرجا ربى لبابك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظماً
والبيت الثاني مأخوذ من قول الحماسي
(رهيني ظلوماً فإنه بمساةة قصاصاً فأين الأخذ يا عز بالنضل)

ومن هذا النوع قول إبراهيم السراق

هيني يا معذبتى أسأت وبالهجران قبلكم بدأت
فأين الفضل منك (فدتك نفسي) على إذا أسأت بما أسأت

وقول البحتري

أقر بما لم أجنه متفضلاً اليك على أنى أخالك الودماً
في الذنب معروفاً وإن كنت جاهلاً وعندى لك العتي على وانما

حنانيك (١) قد بلغ السيل الزبي (٢) ونالني ما حسبي به وكفى
وما أراني إلا لو أمرت بالسجود لآدم فابيت (٣) واستكبرت . وقال
لى نوح اركب معنا فقلت سأوى (٤) الى جبل يعصمني (٥) من الماء

ومثلك أن أبدى الجميل أعاده وإن بدأ المعروف عاد وتما
وقول الآخر

فهني مسيئاً كالذى قلت ظالماً فعفواً جيلاً كي يكون لك الفضل
فإن لم أكن للعفو منك (لسوء ما أتيت به) أهلاً فانت له أهل
(١) تشية حنان وهو الرحمة (٧) جمع ذبية وهي حفرة تحفر لصيد الأسد
فى مكان مرتفع لا يعلوه الماء فإذا وصل اليه السيل كان مجحفاً يريد بذلك مزيد
استرحام سيده من حيث يقول له حنانيك أى رحمة بعد رحمة أطليها منك فإن
الذل والهوان قد وصلوا إلى النهاية والصغار والاحتقار قد بلغا الغاية. وقوله «بلغ
السيل الزبي» مثل عربى يضرب فى بلوغ الشئ غايته (٣) امتنعت — ولقد
أحسن كل الاحسان وتلطف ما شاء فى عطف قاب سيده وطلب العفو عما اجترح
من جريمته بأبلغ عبارة وأدق إشارة مبدعاً فى وصف ما لاقاه من العقاب
والنكال وانه لو قسم على ذوى الذنوب من الأولين والآخرين لكان كافياً
لتكفير تلك الذنوب جزاء وفاقاً ملمحاً الى ذوى الذنوب المشهورة ووقائع الآثام
المأثورة فقال وما أراني الخ يشير الى ذنب ابليس وهو امتناعه واستكباره عن
السجود لآدم من حيث أمره الله بذلك فأبى واستكبر وكان من الكافرين
وقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وفي ابليس يقول أبو نواس
تاه على آدم فى سجدة وصار قواداً لذريته
أبى السجود له من فرط نخوته وقد تحول فى مسلاخ قواد
(٤) سأجأ (٥) يحفظنى — يشير الى ذنب ابن نوح وهو مخالفته لآبيه اذ

وأمرت ببناء صرح ^(١) لعلى أطلع الى إله موسى . وعكفت ^(٢)

قال له لما عم الطوفان وصعد السفينة هو ومن آمن معه « يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين » فخالف أباه وقال سأوى الخ

(١) قصر - يشير إلى ذنب فرعون وهو إنكاره الإله وادعاؤه أنه هو الإله الحقيقي، وذلك حينما أتاه موسى عليه السلام بالآيمان بالله فقال فرعون « يا أيها الملاء ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لي ياها مان على الطين فاجعل لي صرحاً ... » الآية (٢) واضطت - يشير إلى ذنب بنى اسرائيل وهو عبادة العجل وذلك أنه لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه قام رجل صائغ من قبيلة يقال لها سامرة كانت تعبد البقر وقال لبنى اسرائيل أن الحلى الذى استعتموه من المصريين وبقي معكم بعد غرقهم لا يحل لكم فادفنوه حتى يأتي موسى ويرى رأيه فيه ففعلوا فأخذوه وصاغه عجلاً ووضع فيه القبضة التى أخذها من أثر حافر فرس الحياة فرس جبريل عليه السلام فصار العجل يمشى وكأنه يخور فقال لبنى اسرائيل هذا إلهكم وإله موسى نسيه وذهب ليطلبه فافتتن به كثير منهم واتبعوه

﴿ عجل بنى اسرائيل ﴾

ينحصر الكلام على هذا العجل فى أربع مسائل - الاولى من المعنى بالرسول فى قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول الآية - الثانية ما المراد من القبضة فى الآية السابقة - الثالثة - هل انقلب التمثال لحماً ودماً - الرابعة أحوار حقيقى أم من باب التشبيه

قال بعض المفسرين أن المقصود بالرسول جبريل عليه السلام، وأن المراد بالقبضة قبضة التراب التى أخذها السامرى من أثر حافر فرس جبريل، وأن التمثال انقلب لحماً ودماً، وأنه خارمرة واحدة . واستدلوا بأن الجسد اسم للجسم

على العجل . واعتديت (١) في السبت

ذى اللحم والدم ، وأن الخوار لا يكون للصورة . وأن الحرق والنسف لا يكونان للذهب

وقال أبو مسلم اطلاق الرسول على جبريل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب ، وأيضاً تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبريل ، وبمعرفة خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ، ولو جاز اطلاع الكفرة على تراب هذا شأنه ، فلقاتل أن يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر لأجله قدر على الخوارق . فالأولى أن يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الأمر في كذا ويكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعاً من التهميم لأنه كان كافراً به مكذباً وأراد بأثره سنته ورسمه ، من قولهم فلان يقفو أثر فلان — أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئاً من سنتك فطرحتها . ويؤخذ من كلام أنى مسلم أن العجل غير حقيقى لأنه لم يوضع فيه تراب الحياة ووافقه على ذلك كثير من المفسرين من حيث قالوا أن السامري جعل ذلك العجل مجوفاً ووضع في جوفه أنا يب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب الريح فظهر منه صوت يشبه الخوار ولذا سمى خواراً (وهو يوافق المعهود في تاريخ المصريين) واستدلوا بقراءة على كرم الله وجهه له جوار أى صياح . وقالوا أن الجسد غير مختص بذى الروح وأن الحرق من معانيه البرد

(١) جاوزت — يشير إلى ذنب بنى اسرائيل وهو انتهاك حرمة السبت وذلك أنهم نهوا عن الاصطياد فيه وكانت الحيتان تأتي فيه بكثرة رافعة خراطيمها حتى تغطي الماء ولا تأتي في غيره فتحيلوا بعمل حيضان متصلة بالبحر فإذا جاءت عشية الجمعة فتحوا الاتصال فتدخل الحيتان الحيضان فيأخذ وفيها يوم

وتعاطيت (١) فعقرت (٢) . وشربت من النهر الذي ابتلى (٣) به

الاحد ولما أمهل الله عقوبتهم استحلوا الصيد في يوم السبت فحاق بهم العذاب
قال علاء الدين الوداعي فيمن وعده بسمك

يامالك اصدق مواعيده . خلى لنا في جوده مطمعا

لم نعد في السبت فما بالنا لم تأتنا حيتانا شرعا

(١) تعاطى قام على أطراف أصابع رجله ثم رفع يديه وضرب (٢) عقر
البعير بالسيف فأنعقر أى ضرب به قوائمه. يشير الى ذنب قدار وهو قتل ناقة
صالح عليه السلام : وذلك ان امرأة يقال لها غيرة لها مال وبنات حسان وأخرى
يقال لها صدوق بنت الحيا صاحب أوثانهم كان زوجها أسلم وأنفق ماله على
صالح وأتباعه وكانت من أشد الناس عداوة لصالح، فدعت صدوق مصدا لنفسها
على قتل الناقة، ودعت غيرة قداراً على ذلك أيضاً فذهبا وتبعهما أشقياء ثمود
وكن كل منهما في أصل صخرة ولما مرت ضربها مصدع فأصاب ساقها فشدها
عليها قدار بسيفه فأبان عرقوبها ثم نحرها

وقال عمارة النخعي :

لا تعجبا لقدار ناقة صالح . فلكل عصر ناقة وقدار

(٣) اختبر — يشير الى ذنب معظم جيوش طالوت عليه السلام وهو مخالفتهم
له حينما اقترحوا عليه قلة الماء فقال لهم « ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه
فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده » فخالفوا وشربوا
الا قليلا منهم

وقال أبو العلاء المعري :

سقيا لدجلة والدنيا مفرقة حتى يعود اجتماع النجم تشيتا
وبعدها لا أريد الشرب من نهر كأننا أنا من أصحاب طالوتا

جيش طالوت . وقدت الفيل لأبرهة (١) . وعاهدت (٢) قريشاً على ما في الصحيفة . وتأولت (٣) في بيعة العقبة (٤) . واستنشرت إلى

(١) كان عامل اليمن من قبل النجاشي — يشير إلى ذنب أبرهة وهو ذهابه لهدم الكعبة وسبب ذلك أنه بنى كنيسة في صنعاء ليصرف الناس عن الكعبة فأتى رجل كنانى ولوثها بالعدرة وأتى أقوام من تجار قريش وأضرموها ناراً بجانبها فهبت الريح فأحرقتها فغضب النجاشي لذلك وقام أبرهة وأخذ الفيلة ويقدمها فيل النجاشي المسمى محموداً ليهدم الكعبة ارضاء له ولما وصل إليها وجه الفيل نحوها فأبى فوجهه إلى اليمن فقام مهرولاً وبعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل (٢) أعطيتهم عهداً وميثاقاً — يشير إلى ذنب قريش وهو اتحادهم على عدم نصر الدين وذلك أنهم لما رأوا أن الدين أخذ في النمو وإن حمزة وعمر أسلموا تعاقدوا على مهاجرة بني هاشم وبني عبد المطلب وعلى قطع العلائق بينهم تماماً وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة تذكيراً لذلك (٣) خالفت (٤) طريق وعر في الحيل — يشير إلى ذنب من نقض بيعة العقبة وبيعات العقبة ثلاث ولم يتأول فيها أحد فذكره لها على سبيل الفرض أي هب أني خالفت الأجماع وتعديت الحد وفعلت ما لم يفعلها أحد

(٣) استنشرت استنصرت (الغير) بالكسر الأبل التي تحمل الميرة — يشير إلى ذنب ضمضم الغفاري وهو استنهاض قريش لأبي سفيان وذلك أن أبا سفيان كان آتياً من الشام في غير فذهب عليه السلام لقتاله فشر بذلك أبو سفيان فاستأجر ضمضاً المذكور ليخبر قريشاً فذهب وصرخ ببطن الوادي واقفاً على جبل قد جدعه وحول رحله وشق قميصه قائلاً يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث فتجهزوا جميعاً وذهبوا إليه وحصلت الواقعة الشهيرة المسماة بغزوة

الغير بيدر . وانخذلت (١) بثلت الناس يوم أحد (٢) . وتخلفت (٣)
عن صلاة العصر في بني قريظة (٤) وجئت بالأسفك (٥) على عائشة
الصديقية . وأنفت (٦) من إماره أسامة .

بدر الكبرى وفيها انتصر النبي عليه السلام انتصاراً باهراً وكان ذلك يوم الجمعة
لسبع عشرة من رمضان سنة اثنتين من الهجرة (١) (خذه) ترك عونه
ونصرته (٢) (أحد) جبل بالمدينة — يشير الى ذنب أبي بن سلول رأس
المنافقين وهو رجوعه من الجيش هو ومن معه من المنافقين وذلك ان النبي عليه
السلام لما خرج الى أحد ومعه ألف من أصحابه لقتال أعدائه كان من رأى
أبي ان يمكث النبي في المدينة فأبى عليه السلام قبول رأيه موافقاً لمعظم الصحابة
فرجع هو ومن معه من المنافقين وقال أطاعهم وعصاني (٣) تأخرت

(٤) طائفة من اليهود — يشير الى حادثة بني قريظة وذلك أنه عليه السلام
بعد رجوعه من غزوة الخندق قال من كان سميعاً مطيعاً فليصل العصر
في بني قريظة فبعض الصحابة أخذ بظاهر الحديث وصلى العصر هناك بعد مغيب
الشمس والبعض الآخر رأى أن المقصود الإسراع فصلى في الطريق
ولما اختلف الفريقان في تعيين المصيب ترفعوا اليه عليه السلام فحكم بأصابتها
واذاً تكون عبارته كناية عن فداحة التخلف عن الذهاب (٥) الكذب — يشير
الى ذنب مسطح وحسان ومن معها من مجاهرتهم بالسوء لزوجه عليه السلام
وذلك أنه لما ذهب عليه السلام إلى غزوة بني المصطلق كانت معه السيدة عائشة حيث
كانت قرعتها ففي العودة ذهبت السيدة لقضاء حاجتها ففاتها الركب ولم ينظروا
في هودجها فمر صفوان وكان قد تأخر لأمر ما فاركبها بعيره وقاده فأشاع هؤلاء
مأشاعوا فبرأها الله تعالى بالآيات البينات (٦) استكفت — يشير إلى بعض
الصحابة حيث أنفوا من إماره أسامة بن حارثة عليهم وذلك أن النبي عليه السلام

وزعمت أن خلافة أبي بكر كانت فلتة (١) . ورويت روى
من كتيبة (٢) خالد . ومزقت (٣) الأديم (٤) الذي باركت يد الله عليه .

جهز له جيشا ليذهب به إلى الشام وقال له سر إلى مقتل أبيك فتكلم قوم وقالوا
أيؤمر هذا الغلام على المهاجرين الأولين فغضب عليه السلام لذلك وخرج في
مرضه عاصبا رأسه وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال مامعناه لئن طعتم في
أسامة فقد طعتم في أبيه من قبل وأنه لأهل لها فاستوصوا به خيراً (١) أي
من غير أحكام ولا روية — يشير إلى ذنب الشيعة وهو اعتقادهم أن علياً هو الأحق
بالخلافة ومن سواه غاصب ويقولون مات قدم وفي حديث عمر (أن بيعة أبي بكر
كانت فلتة وقي الله شرها) فقليل المراد بالفتنة الخلسة أي أن الأمامة يوم السقيفة
مالت الأنفس إلى توليها وكثر فيها التشاجر فانتزعها واختلسها أبو بكر اختلاساً
ومثل هذه البيعة مهيئة للشر والفتنة فعصم الله تعالى من ذلك ووقي

(٢) جيش — يشير إلى ذنب أبي شجرة السلمي وهو فتكه بجيش خالد في
حرب الردة ويشير إلى قوله في ذلك

(ورويت روى من كتيبة خالد وإنى لأرجو بعدها أن أعمرا)

(٣) قطعت (٤) الجلد . يشير إلى ذنب أبي لؤلؤة وهو قتل عمر عليه السلام
وذلك أن أبا لؤلؤة طلب منه أن يخفف عنه جعل سيده فقال له أنه ليس بكثير
وانك لصانع مجيد ، وأريد أن تصنع لي رحي فقال سأصنع لك رحا يسمع
دويها أهل المشرق والمغرب وكمن له حتى طعنه في صلاة الصبح ومات بسبب
ذلك ، ويشير إلى ما قاله بعضهم في رثاء

(جزى الله خير أمن إمام وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق)

وقال علاء الدين الوداعي

قد قلت لما مرني مقرطقي يحكي القمر
هذا أبو لؤلؤة منه خذوا ثار عمر

وضحيت بأشمط (١) عنوان السجود به . وبذلت لقطام (٢)
(ثلاثة آلاف وعبد وقينة (٣) وضرب على بالحسام المسمم)
وكتبت الى عمر بن سعد أن جمع (٤) بالحسين .

(١) مختلط شعر الرأس والشمط محرقة بياض الشعر يخالطه سواد — يشير الى ذنب بعضهم وهو قتل عثمان عليه السلام وذلك انه وفد عليه كثير من الجهات يشكون عماله فأرضاهم وأرسل محمد بن أبي بكر والياً على مصر فينما هو ذاهب اذ رأى عبداً على هجين يستحيه فأحضره وفتشه فوجد معه كتاباً من الخليفة الى عامل مصر يقول فيه اذا أتاك محمد ومن معه فتحيل في قتلهم فرجع محمد وأعطى الجواب للخليفة فأقر بأنه خط كاتبه وهذا ختمه وعبداه وهجينه وأنه لم يرسله فطلب منه أحد أمرين: الاعتزال أو اعطاء كاتبه الحكم، فأبى فحصلت الفتنة وحاصروه الى أن قتل، ويشير الى ما قاله حسان بن ثابت في رثائه

(ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحاً وقرآناً)

(٢) اسم امرأة (٣) جارية — يشير بذلك الى ذنب ابن ملجم وهو قتل على عليه السلام وذلك أن هذه المرأة أعجبه لنضارتها فأراد أن يتزوجها فطلبت منه ما في البيت فقال لها لك ما طلبت وقال البيت وبعده

(فلا مهر أغلى من على وإن علا ولا فتك الادون فتك ابن ملجم)
وقال البحتري

ولا عجب للأسد ان ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشى سقت حمزة الردي وموت على من حسام ابن ملجم
(٤) ضيق — يشير الى ذنب عبيد الله بن زياد وهو تحريضه على قتل الحسين وذلك أنه أبى مبايعة يزيد وأراد الذهاب الى الكوفة من حيث أنهم طلبوا مبايعته فأخبر يزيد عامله هناك عبيد الله بن زياد بذلك فأرسل لقتاله عمر بن سعد

وتمثلت عند ما بلغنى من وقعة الحرة (١).

(ليت أشياخى يبدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل)
ورجعت (٢) الكعبة . وصلت العائد (٣) على الثنية (٤) ، لكان
فما جرى على (٥) ما يحتمل أن يكون نكالا (٦) . ويدعى ولو على المجاز
عقابا .

ولما أبطأ جهاز له شمرا وكتب عيد الله ماتقدم فانتشبت الحرب بينهما وانتهت
بقتله عليه السلام (١) أرض بظاهر المدينة كانت بها الواقعة بين عقبة بن مسلم
وأهل المدينة — يشير الى ذنب يزيد وهو تشفيه من أهل المدينة وذلك أنه
أرسل عقبة بن مسلم الى محاربة أهل المدينة وابعثها ثلاثة أيام فقتل وأسرف
وأباح فلما بلغ يزيد ذلك قال بيت ابن الزبير المذكور مظهرا للضمير المستتر
وهو كراهة الأنصار والمهاجرين (٢) رميت بالحجارة (٣) الملتجئ
(٤) طريق العقبة — يشير الى ذنب الحجاج وهو رجه الكعبة وصلبه عبد الله
ابن الزبير وذلك انه لما حارب به التجأ عبد الله وأصحابه الى الكعبة فنصب
الحجاج المنجنيق عليها ورجها وبعد ما انتصر عليه صلبه منكساً وآلى أن لا ينزله
الا اذا شفعت أمه فيه فبعد سنة مرت أمه وقالت أما أن لهذا الفارس أن يترجل
فاعتبر قولها شفاعاً وأنزله . ومن قولها لابنها في يوم مقتله : يا بنى لا تقبلن
منهم خطة تخاف منها على نفسك الذل مخافة القتل ، فوالله لضربه بالسيف في عز
خير من ضربة بالسوط في مذلة ، فقال لها إنما أخاف المثلة ، قالت يا بنى ان الشاة
لا يضرها سليخها بعد ذبحها

(٥) حصل لى (٦) عذابا — يريد انى لو أتيت بهذه الذنوب كلها لكان
ما حصل لى من التعذيب والاهانة والذل والاستكانة كافياً لتمحيص هذه الذنوب ،
وكيف لا وقد صرت فى حالة يرثى لها العدو والحبيب والبعيد والقريب وذلك

(وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحينا)
 فكيف ولا ذنب الا نعمة (١) أهداها كاشح (٢) . ونبأ (٣) جاء
 به فاسق . وهم الهمازون (٤) المشاءون (٥) بنميم . والواشون (٦) الذين
 لا يلبثون (٧) أن يصدعوا (٨) العصا . والغواة (٩) الذين لا يتركون
 أديما (١٠) صحيحا . والسعاة (١١) الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال
 ما ظنك بقوم الصديق محمود الا منهم .

أدل على طلب الرحمة وأحكم في الاستعطاف . والبيت الذي ذكره للعتبي وقد
 اختصر المتن ما فصله ابن زيدون فقال

وان كان ذنبي كل ذنب فانه محاذ الذنب كل المحوم من جاء تائباً

(١) نقل الكلام للافساد (٢) مضمحل العداوة (أهداها كاشح) كناية عن
 حسن سبك هذه النعمة وانه معني بها كما يعتنى بالهدية الأمير (٣) خبر
 (٤) المغتابون (٥) النمامون (٦) الذين يزينون الحديث للافساد
 (٧) لبث بالمكان أقام به (٨) يشقوا (٩) المضلون (١٠) جلدوا
 (١١) المفسدون - يريد بذلك أنه بنى الاهانة والابعاد والصد والاعراض
 على أوهن الأسباب وأضعفها وهو سعى النمام وخبر الفاسق وتزيين الغواة
 والذين يشقون عصا الالفه ويمزقون أعراض الناس ويلمح في عبارته الى قوله
 تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » الآية والى قول
 كثير عزة

ولا يلبث الواشون أن يصدعوا العصا اذا هي لم يصلب على البرى عودها

والى قول الآخر

ولا تفش سرك الا اليك فان لكل نصيح نصيحا

(حلفت فلم أترك لنفسيك ريبة ^(١) وليس وراء الله للمرء مذهب)
والله ما غششتك بعد النصيحة . ولا انحرفت ^(٢) عنك بعد الصاغية ^(٣)
إليك . ولا نصبت ^(٤) لك بعد التشيع فيك . ولا أزمعت ^(٥) يأساً
منك . مع ضمان تكافئت به الثقة عنك . وعهد أخذته حسن الظن عليك .
فقيم عيبت ^(٦) الجفاء بأذمتي ^(٧) . وعاثت ^(٨) العقوق ^(٩) في مواتي ^(١٠) وتمكن
الضياع ^(١١)

(فاني رايت غواة الرجا . ل لا يتركون ادعما صحيحا)
(١) شبهة — يريد حلفت فلم أترك شبهة في نفسك من براءتي وليس بعد الله من
يصدق القسم به حتى أقسم به وأذهب إليه . والبيت للناطقة الديباني من اعتذارياته
للنعمان (٢) ملت (٣) الأصغاء (٤) الناصبي في العرف من كان عدوا لعل
وهو ضد الشيعي (٥) خفت — يقول أقسم بالله أنني مقيم على النصح لك ثابت
على الميل إليك ولم اتخذ مذهب الناصبية مذهباً ولم يستفزي اليأس منك وتلعب
بي أيدي الأهواء فان ثقى بك وحسن ظني فيك قد ضمنا لي أن أطرد
اليأس بالرجاء في عفوك . وهذا الكلام من الاستقصاء البديعي بمكان فانه
استوفى جميع عوارض المحبة بحيث لم يبق لقائل قول لو ولا ليت استجلاباً
للرحمة وطلباً للعفو ومن هذا النوع

وحديثها السحر الحلال لو انه لم يحسن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يمل وان هي أوجزت ودالمحدث انها لم توجز
شرك العقول ونهزة مامثلها للمطمئن وعقلة المستوفز
(٦) لعب (٧) حرماتي (٨) أفسد (٩) ضد البر (١٠) وسائل (١١) الهلاك

من وسائل (١) . ولم ضاقت مذاهبي (٢) . وأكدت (٣)
مطالبي . وعلام رضيت من المركب (٤) بالتعليق (٥) . بل من
الغنيمة بالاياب (٦) . وأنى غلبني المقلب (٧) . وفجر (٨) على العاجز
الضعيف ولطمتنى (٩) غير ذات سوار . ومالك لم تمنع من قبل ان
افترس . وتدركني ولما أمزق (١٠) أم كيف لا تتضرر (١١) جوانح (١٢)

(١) ما أنقرب به (٢) طرقى (٣) ردت (٤) الركوب (٥) المراد تعليق
الأمّعة (٦) الرجوع (٧) المغلوب مرارا (٨) اجتراً (٩) ضربتني على وجهي
براحتها (١٠) اقطع — يستفهم عن سبب افساد الجفاء والعقوق لما قدمه من
وسائل الرضا حتى ضاقت عليه المذاهب وامتنعت عليه المطالب وحتى رضى من
عظيم الأمر بصغيره ومن الغنيمة بالرجوع سالماً واجتراً عليه كل ضعيف
وغلبه من كان له غالباً وظامه من لم يكن له كفؤاً . وقد ضمن عبارته من
الأمثال ما هو كالسحر الحلال . أولها : ارض من المركب بالتعليق يضرب
في القناعة بادراك بعض الحاجة . وثانيها : رضيت من الغنيمة بالاياب ، يضرب
في القناعة بالسلامة . والأول مأخوذ من قول امرئ القيس

(لقد طوفت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب)

وثالثها ورابعها مأخوذان من قوله أيضاً

(فإنه لم يفخر عليك كفأخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب)

وقد صحفه ابن زيدون وهو تصحيف حسن . وخامسها (لو ذات سوار

لطمتنى) قاله حاتم حينما لطمته جارية وكانت العادة لبس السوار للحررة . والثلاثة

تضرب عند العجز والذلة . ويشير الى قول المثقب العبدى

(فان كنت مأكولاً فكن خيراً كل والا فأدركني ولما أمزق)

وفي هذا الاستفهام تحضيض له على انجاده وسرعة انقاذه (١١) تنقذ (١٢) اضلاع

الاكفاء^(١) حسداً الى على الخصوص بك . وتنقطع أنفاس^(٢) النظراء^(٣)
منافسة^(٤) لي على الكرامة فيك ، وقد زانتى اسم خدمتك ، وزهاني^(٥)
وسم^(٦) نعمتك ؛ وأبليت^(٧) البلاء الجميل في سباطك^(٨) ، وقمت المقام
المحمود على بساطك

(ألست الموالي^(٩) فيك غر قصائد

هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما)

ثناء يظن الروض منه منورا

ضحى ويخال الوشى^(١٠) فيه منمما^(١١)

(١) الأمثال (٢) جمع نفس (٣) جمع نظير (٤) رغبة شديدة مع المبارات لغيرك
(٥) (الزهو) الكبر (٦) علامة (٧) جربت (٨) (السمط) الصف من
الناس (٩) المتابع (١٠) ضرب من الحرير ذو ألوان (١١) ثوب موشى بألوان
فيها البياض — لقد أتى ابن زيدون من كلام السحر وسحر الكلام بما يكبو
دونه قلم البليغ من الاعتراف لسيدته بأنه قد أوقد النار في قلوب الحساد والنظراء
بتعهده له بالانعام وصلته بالصلوات حتى أنطق لسانه فيه بالمدائح التي طلعت مع
الليل أنجما والثناء الذي أزهرت به الرياض ووشيت به حلال الفضل . والبيتان
من قصيدة للبحري يعاتب بها الفتح بن خاقان ومطاعها

(يهون عليها أن أبيت متياً أكابد وجداً في الضمير مكتماً)

وفي هذه المعاني يقول بعض الشعراء

إن يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
أنا الذي وجدوني في حلوقهم لا أرتقى صدراً منهم ولا أورد

وهل لبس الصباح إلا برداً (١) طرزته (٢) بفضائك ،
وتقلدت (٣) الجوزاء (٤) إلا عقدا فصلته (٥) بما ترك

ويقول صفي الدين الحلبي

مولاي دعوة عبد غير مفتتن
قد صنت شعري وكل الناس تخطبه
بك انتصرت على الأيام منتصفاً
وكيف تعجز كفى ان أنال بها
ويقول أبو فراس

وانك للمولى الذي بك أقتدى
وأنت الذي بلغتني كل رتبة
فيما لبسي النعمى التي جل قدرها
ويقول أيضاً

ألبستني نعماً على نعم
وعلوت بي حتى مشيت على
ويقول أبو سعيد الرستمي :

وما كنت لولا طيب ذكرك شاعراً
ولكنني أقضى به حق نعمة
ويقول أبو تمام :

وأي قصيدة لي فيك تأتي
من السحر الحلال لمعتفيه
وتأنف أن أهان وإن اذالا
ولم أر قبلها سحراً حللاً

(١) رداء (٢) علامته (٣) لبست (٤) برج (٥) تفصيل العقد جعل خرزة

بين كل أولوتين

واستملى (١) الربيع الاثناء أملاؤه في محاسنك . وبث (٢) المسك الا
حديثاً أذعته (٣) في محامدك . ما يوم حليلة بسر .

(١) طلب الأملاء (٢) نشر (٣) اشعته — جرت عادة البلغاء ان يستعيرو
للمسموع من المدح والثناء ما يزيد القول حلاوة ويكسبه طلاوة من أشياء تدرك
بجاستى السمع والبصر . قال محمد بن غالب

اجرى حديثك ثم اعجب انه قول يقال وعرفه مشهور
فبكل ارض من ثنائك شائع عبق كما ريح الرياض نسيم
يسرى فلا يخفى على مستشرق ولوانه عن أذنه مكتوم
يطوى فينتثر الثناء بظيه ذكر الكريم بغبر محتوم
والمعنى ان فضائلك التى نشرتها فى مدائحى ظهرت للعين ظهور الصباح
حتى انه لم يضىء الا بسببها . وان عقد الجوزاء لم يحسن فى رأى العين الا
لكونى فصلته بمحامدك ، وكذلك الربيع لم تتضوع الا زهار بنشرها فيه الا
لكونه استملى منى الثناء المملوء بمحاسنك ثم أثبت ان ما تقدم حقائق ثابتة بقوله :
(ما يوم حليلة بسر) وهو مثل عربى يضرب فى فشو الأمر وانتشاره

وفى هذه المعانى يقول ابن عذينة

نهدي اليك من الثناء ملابساً تصفو وتصفو من قذى الأطماع
مصقولة الالفاظ يلقاها الفتى من كل جارحة بسمع واعى
ويقول الشيلى

وجدت معاليك أصلاً لشعري وهل ينظم الدر لولا الصباح
لك الفضل إن طاب شكرى ونشرى بطيب الرياض تطيب الرياح
ويقول ابن المعلم

ولم تك إلا عاطلاً فكسوته حلى بيواقيت العلاء ترصع

وان كنت لم أكتسب سلباً (١) . ولا حلتك عطلاً . ولا
وسمتك غفلاً (٢) . بل وجدت آجراً (٣) وجصاً (٤) فبنيت . ومكان
القول ذاسعة فقلت .

كذلك اكتسب من نشر الشعر نفحة
ويقول عمارة النمنى

وأين الثياب المذهبات قشبية ولى مذهبات فيك ليست بأسمالى
ستبلى على قرب جديد فعالكم وتبقى على مر الحديدين أقوالى
وتعطيل حيدى من حلى نداكم وحيد معاليكم بها أبداً حالى
(١) مسلوباً عارياً (٢) عادم العلامة (٣) الطين المحرق (٤) الجير — أراد
دفع ما يتوهم من أنه يفضل عليه بأذاعة المحاسن ونشر المدائح وأنه اخترع له
هذه انسجالياً والخلال . حيث يقول له أنى لم أمدحك إلا بما هو فيك من خصائص
الحصول وجميل الخلال وإنما أنا صنعتها في القالب الذى بلغت الأنظار ويجلو
صيداً الأفكار

وفى هذه المعانى قال ابن حبوس
(وهل للذى يأتى إلى الوصف حاجة
(ولكنه بالشعر يزداد بهجة
وقال الخفاجى

(ولى فيك من غر القوافى قصائد
(وما أدعى در الكلام لأنه
وقال المتنبي

(وقد وجدت مكان القول ذاسعة
وقال الغزى

ولما جال في عليك فكرى وجدت القول متسع المجال

حاشي (١) لك أن أعد من العاملة الناصبة (٢). وأكون كالذبالة (٣)
المنصوبة . تضيء للناس وهي تحترق . (فلك المثل الأعلى (٤)) . وهو
بك وبى فيك أولى

وما يقنى المديح وصار لفظي به أجرى من الماء الزلال
وقال ابن قلاقس

(ومنك وفيك تنتظم القوافي ومن وجد المقال الرحب قالا
وقال ابن الحداد المغربي

ومنك اخذنا القول فيك جلالة وما طاب ماء الورد إلا من الورد
(١) تنزيهاً لك (٢) من النصب وهو التعب (٣) الفتيمة (٤) الصفة العليا بعد
أن عمل جهد المستطيع في اثناء عليه أراد أن يستميله بلطف ليحصل لعمله فائدة
ونتيجة، فنزله عن أن يجعل مثله معه كمثل الكفار حيث عملوا وتعبوا في الدنيا
فيما لم يعد عليهم منه فائدة في الأخرى ، ويشير إلى قوله تعالى « وجود يومئذ
خاشعة عاملة ناصبة تصلي ناراً حامية الآية » وإلى قول العباس بن الاحنف
(صرت كائن ذبالة نصبت تضيء للناس وهي تحترق)

ومن هذا النوع قول أبي الحسين الجزار
أحمل قلبي كل يوم ويلة هموماً على من لا أفوز بخيره
كأسود القصار في الشمس وجهه حريضاً على تبيض ثوب لغيره
وقول الآخر

وفتيمة المصباح تحرق نفسها وتضيء للساوى وأنت كذلك

وبالغ في التلطف بقوله فلك المثل الأعلى والصفة العليا من التجاوز والصفح
وأنت أولى من صفح عن زلة الميء . وأنا أولى من ادخرت مودته بالصفح
عنه وأما قوله وهو بك الخ فكأنه يقول هو بك أولى وهو بى كذلك إذا كان فيك
فكلاً الحالين مخصوص بك . وما ألفت ما ينسب إلى الأمام الشافعي رضي
الله تعالى عنه في الأمام أحمد بن حنبل

ولعمرك (١) ما جهلت ان (صريح الرأي) (٢) أن أتحوّل . اذا بلغتني
الشمس ونبأني المنزل (٣) . وأصفح (٤) عن المطامع التي تقطع
أعناق الرجال فلا استوطي العجز (٥) . ولا أطمئن (٦) الى
الغرور (٧)

ومن الامثال المخروبة : خامري (٨) أم عامر (٩) .

(قالوا يزورك أحمد وتزوره) قلت الفضائل لا تفارق منزله (
 (إن زرتة فلفضله أو زارني) فبفضله فالفضل في الخالين له (
 وقال الوزير أبو حفص

لك المثل الأعلى إذا ذكر الندى ودع هرما فيما سمعت وحاشما
 وقال ابن عمار

لك المثل الأعلى وما أنا حادث ولا أنا ممن غيرته الحوادث
 أظن الذي بيني وبينك غيرت حلاوته غنى الرجال الأخابث

(١) حياتك (٢) سديده (٣) نبأني المنزل لم يوافقني (٤) أعرض (٥)
 استوطي العجز أي أجده ليناسهلا (٦) أميل (٧) ما يغتر به من متاع الدنيا
 (٨) استتري (٩) كنية الضبع — يقسم بحياة سيده انه ما جهل أن سديد
 الرأي وجوب التحول عن مقام الأهانة متى شعر بلحاقها به كما أنه لم يجهل أن
 الطمع مورد الهلكة وذريعة الخذلان ومقطع اعناق الرجال وانه كان عليه ان
 يرحل ولا يستسهل العجز ولا يميل إلى الغرور ولكن خابت آماله وانعكست أحواله
 فكان الغرور نصيبه والأمل قائده فاغتر كما اغترت الضبع بقول القائل : خامري
 أم عامر . يشير إلى قول أبي تمام

(وان صريح الرأي والحزم يامري إذا بلغته الشمس ان يتحولا)

واني مع المعرفة بأن الجلاء (١) . سباء (٢) . والنقله (٣) . مثله (٤)
ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسيء يكن ما أساء النار في رأس كبكبا (٥)

وقول عنترة

(احذر محل السوء لا تحلل به وإذا نبا بك منزل متحول)

وقول معن

وفي الناس إن رثت حبالك واصل وفي الأرض عن دار القلى فتحول
وقول الآخر

إذا كنت في دار يسوءك أهلها ولم تك مكبولا بها تتحول
وقول المجاشعي

(طمعت بليلي ان تزيغ وانما تقطع اعناق الرجال المطامع)
وقال أبو العتاهية

تعالى الله يا سلم بن عمر أذل الحرص أعناق الرجال
وقال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول

ان الآمال ، قطعت أعناق الرجال ، كالسراب غر من رآه ، وأخلف من
رجاه

وإلى المثل العربي (العجز وطىء) يضرب لمن استلان فراش العجز وقعد
عن طلب المكاسب وقوله خامري الخ مثل يضرب لمن عرف الدنيا وتقلبها ثم
يميل اليها ويغتر بها

وما أحسن قول البهاء زهير

يا هذم لا تغاطي والله مالى فيك خاطر

خدعوك بالقول المحال فصح انك ام عامر

(١) الخروج عن الوطن (٢) أسر (٣) الانتقال (٤) تكييل (٥) جيل

عارف أن الأديب الوطن لا يخشى فراقه . والخليط ^(١) لا يتوقع
زياله ^(٢) . والنسيب ^(٣) لا يخفى . والجمال لا يجفى ^(٤) .
ثم ماقران ^(٥) السعد بالكواكب أبهى أثراً . ولا أسنى خطراً ^(٦)
من اقتران غنى النفس به . وانتظامهما نسقاً ^(٧) معه . فان الحائز ^(٨) لهما
الضارب بسهم فيهما وقليل ما هم ^(٩) أينما توجه ورد منه ^(١٠) بر .

(١) المخالط (٢) مفارقه (٣) ذو النسب (٤) لا يهجر — بعد ان بين
لسيده انه لا يجهل ان الصواب التحول أراد أن يبين له انه يعرف أيضاً ان
الانتقال فيه التمثيل والنكال، وأن الغربة، كربه، والنوى، توى، وان حسنات الغريب
مهجورة وسيئاته منشورة فقال واني مع معرفتي بأن خروجي من وطني
أسر لي ودفن لحاسني وانتقالى منه الى غيره مع عدم معرفة اهل هذه الجهات
بما انا متحل به من العلوم والآداب تتكبل بمحاسني وتضييع لبهجتي فيجهل
قدرى وتهضم حقوقى وتدفن منى الصالحات وتشاع على قلتها السيئات ،
لأعد ذلك البناء هو الوطن الحقيقى بل وطنى الذى اعول عليه انما هو الادب
وهو ملازم لى أينما حللت وارتحلت فلا أخشى فراقه وهو سميرى الملازم لى
فلا أتوقع غيابه وان النسيب أينما حل فهو معروف والجمال أينما وجد فهو
مألوف وحيث هو كذلك فلا يخشى من الانتقال بأسا ولا من التحول ضيماً .
والبيتان للاعشى (والنقله مثله) مثل مولد (٥) مصاحبة (٦) قدراً

(٧) النسق من الكلام وغيره ما جاء على نظام واحد (٨) الجامع
(٩) (قليل ما هم) يريد بذلك التعريض لسيده بأنه لا نظير له في أخلاقه وآدابه
(١٠) عين

وحط في جناب^(١) قبول . وضوحك قبل انزال رحله . وأعطى حكم
الصبي على أهله :

(١) ناحية — بعد ان بين ان الأدب كبير النفع عظيم الفائدة حتى جعله
وطناً في الغربية وفرجة عند انكربة بين انه يكون اكبر نفعاً وأعظم جدوى
إذا صاحبه غنى النفس فان المتحلى بحلاها . القايض على زمامهما إنما يمم
فالسعد قرينه . والناس اهله يقبلون عليه من كل جانب ويعظمونه كل التعظيم
لأول وهلة ومجرد نظرة ويعطونه حكم الصبي على أهله يفعل ما يريد كالسيد
بالعبد . ويقولون له لقيت اهلاً ونزلت مكاناً سهلاً واسعاً رحباً فأنس ولا
تستوحش وكن كما تحب وتختار فانت رب الدار . وقوله مافر ان السعد اخ
أخذه من قول البستي

(واتم الأشياء نوراً وحسناً بكر شكر زفت الى صهر بر)

(مافر ان السعدين بالحوت ابهى منظرا من قران بر وشكر)

ويشير الى قوله المتنبي

(اذا صديق نكرت جانبه لم يعنى في فراقه الحيل)

(في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من اختها بدل)

والى قول حاتم الطائي

(اضاحك ضيفي قبل انزال رحله فيخصب عندي والمحل جديب)

(وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكننا وجه الكريم خصب)

وقوله اعطى حكم الصبي الخ . عبارة كانت تقولها العرب في مدح من

تزلوا عنده واكرمهم اكراما تاما

قال ابو نواس

ويصبح الضيف اولانا بمنزلنا نرضى بذلك ونمضي حكمه فينا

(وقيل له أهلاً وسهلاً ومرحباً * فهذا ميت صالح ومقبل)
 غير أن الوطن محبوب . والمنشأ مألوف . واليبس يحن الى وطنه
 حنين النجيب (١) الى عطنه (٢) . والكريم لا يجفو أرضاً بها قوابله (٣)
 ولا ينسى بلداً فيها مراضعه . قال الأول
 (أحب بلاد الله ما بين منعج (٤) * الى * وسلمى أن يصوب سحابها)
 (بلاد بها حل الشباب تماثي (٥) * وأول أرض مس جلدى ترابها)

وأصل البيت الذي ذكره

(فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً * فهذا ميت صالح وصديق)
 (١) النجيب من الأبل الفحل الكريم (٢) مبرك الأبل حول الماء
 (٣) جمع قابلة وهي ما تلقى المولود عند خروجه (٤) اسم مكان (٥) جمع
 تيمة وهي ما يعلق للطفل حفظاً له — بعد أن بين له أن سديد الرأي الانتقال
 وأنه لا يخاف عاقبة ذلك لأدبه وغنى نفسه أراد أن يبين له السبب الحامل على
 المكث فقال ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف و
 (مامن غريب وان أبدى تجلده الا سيذكر عند الغربة الوطن)
 ولا غرو فهو أول أرض وجد بها وأول تربة تضمخ بها جسده وأول
 بقعة نما فيها فكرة وأول جهة قضى فيها الشباب ما ربه مع اخوان وأحباب
 وخلان وأتراب فاذا تذكر هذه الجهات تخيل له رغد العيش وحسن الحال
 ورأى أغصان شبابه تميد على تلك الأوطان وتمايل مع النسيم تمايل البان
 فيحن اليها حنين الغريب الى وطنه وأنه ليس من كرم الأصل وشرف المخذ
 ان يهجر الانسان قوابله ومراضعه لما هن عليه من الخير العميم والفضل الجسيم
 في اثناء الصغر فالواجب عليه ان يصلهن في ابان الكبر حتى يحين ثمرات اتعابهن
 ويسررن بحسن معاملته هن واليتان لبعض الاعراب

هذا الى مغالاتي^(١) بعقد جوارك ، ومنافستي^(٢) ، بلحظة من
قربك . واعتقادي أن الطمع . في غيرك طبع^(٣) والغنى ممن سواك
عناء ؛ والبذل منك أعور . والعوض لقاء^(٤) . وكل الصيد في جوف
الفرا^(٥)

(واذا نظرت الى أميري زادني حزننا به نظري الى الأمراء)
وفي كل شجر نار . واستمجد المرخ والعفار^(٦)

وقال ابن الرومي

ولى وطن آليت الا ابيعه والارارى غيرى له الدهر مالكا
قضيت به شرخ الشباب منعا كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبيب أوطان الرجال اليهم ما رب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك
فقد الفته النفس حتى كانه لها جسد إن بان غودر هالكا
وقال أيضاً

بلد صحبت به الشبية والصبا ولبت ثوب العيش وهو جديد
فاذا تمثل في الضمير رايته وعليه أغصان الشباب تميد

(١) مجاوزتى الحد (٢) رغبتى فيك على وجه المباراة (٣) دنس
(٤) خسيس (٥) حمار الوحش (٦) نوعان من الشجر سريعاً الورى
بعد ان بين محبة الوطن وألفة المنشأ وسبب ذلك الطبعي أراد ان يبين
للأمير ان ذلك ليس هو السبب الفذ الحامل لى على المكث بل انضم اليه
ماهو أشد منه تأثيراً وأعظم خطراً الا وهو شدة محبتى لجوارك وحظوتى
بقربك وانت اكرم من حفظ للجوار حرمة وأوضح محبته واعتقادي بأن
الطمأنينة الى غيرك غرور والثقة بخلافك خذلان وعدم رضائي يسواك بدلاً

فما هذه البراءة ممن يتولاك^(١) . والميل عمن لا يميل عنك .
وهلا^(٢) كان هواك^(٣) . فيمن هواه فيك . ورضاك : فيمن رضاه
لك :

ولا بغيرك عوضا وكيف استعويض السمين بالغث والتعب بالراحة ام كيف انظر
الى غيرك من الأُمراء وغيرك فيك

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
نعم وان اشتركوا معك في اللقب لم يشتركوا معك في كمال الفضل والأدب
وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وفي ذلك من استمالة القلب ما يدهش
اللب وقد جمعت هذه العبارة من الأمثال ما هو كالسحر الحلال فاوها (رب
طمع يجر الى طمع) قال الشاعر

لاخير في طمع يدنى الى طمع وعفة من قوام العيش تكفيني
وثانيها كل الصيد في جوف الفرا وهو يضرب لمن يفضل نفسه على أقرانه
وثالثها (البذل منك أعور) يضرب لكل مالا يرتضى به من الناهب وأصله ان
يزيد بن المهلب لما صرف عن خراسان بقتيبة بن مسلم الباهلي وكان شحيحا أعور
قال الناس هذا بدل أعور

ورابعها (رضى من الوفاء بالفاء) يضرب لمن يرضى بالقليل من الكثير
 وخامسها (وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار) يضرب في تفضيل بعض
المشتركين في صفة على بعض . والبيت الذي ذكره لعدي بن الرقاع

(١) مضارع تولاه صار وليه (٢) كلمة تحضيض (٣) ميل النفس — بعد ان
بين له أنه لا يرضى بما سواه . وانه يفضل جواره على ماعداه وهو مع ذلك
يعرض عنه ولا يميل اليه . رجع ينكر عليه ذلك بطريق الاستفهام كما هو الأدب
من حيث يقول كيف تتبرأ مني وانا اؤ اليك . وتميل عني وتهجرني وأنا لا أميل

(يا من يعز علينا أن نفارقهم * وجدانا كل شيء بعدكم عدم)
 أعينك ونفسي من أن أشيم (١) خلبا (٢) . واستمطر جهاما (٣)
 واكم (٤) في غير مكرم . وأشكو شكوى الجريح الى العقبان
 والرخم . فما أبست (٥) لك الالتدر . ولا حركت لك الحوار (٦)
 الالتحن . ولا نبيتك الا لا نام . ولا سریت اليك : الا لا أحمد
 السرى (٧) لديك

الا اليك وهلا هويت من يهواك . ورضيت من يرضاك . واليت للعتبي من
 قصيدة يخاطب بها سيف الدولة معاتبا له وبعده

(ما كان أخلقتا منكم بتكرمة لو ان أمركم من أمرنا امم)
 (ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم ألم)

ومنها

(يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم)
 وقال الجوهري على بن احمد

وأقسم لو رويت سيفك من دمي لا ورق بالود الصحيح وأثمرا
 فكم مدبر بالود تلقاه مقبلا وكم مقبل بالود تلقاه مدبرا

وقال السراج الوراق

ومفرف غنى يميل ولم يمل يوما الى فصحت من الم الجوى
 لم لا تميل الى يا غصن النقا فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

(١) شام البرق . نظر الى سحابته اين تمطر (٢) البرق لاغيث معه

(٣) السحاب لاماء فيه (٤) اعض (٥) (الابساس) الرفق (٦) ولد الناقة

(٧) السير ليلا — بعد ان مدحه بما مدحه واستعطفه بما يلين القلوب القاسية .

ويفجر ينابيع العطف من صلب القلوب . شرع يطلب منه بنسق عجيب . ونمط

غريب ان يجعل لأعماله نتيجة ينجى ثمرتها وان يكون سيده فارس دوحته وان
لا يجعله كالستميح الماء من الصخر . والمستجير عند كربته بعمره والمستمطر
الجهام . والناظر الى البرق الخلب . ويذكره بسبب انشاء هذه الرسالة . وانه
ماتفنن في أساليبها . وأجهد نفسه في اختراع معانيها وانتخاب أمثالها الغريبة
المثال وأبياتها الأبيات في الانعقاد على الرجال . وغير ذلك من الحكم التي لو
سقيت بها أشجار القلوب القاسية لأثمرت العفو . أو رويت بها أرض الهجر
لا نبتت الوصل . وما ذاك الا ليرسل عليه سحاب عطفه مدرارا . وان يصل
رحم الجوار بعد القطيعة ويقر عيننا اضرها سهاد الجفوة . وان يحمد اليه سراه
ويحسن عقباه . ولقد رصع عبارته بجواهر الأمثال وصاغها في قالب غريب
المثال يشير فيها الى قول أبي الأسود الدؤلى

(لا تنهى بعد اكرامك لى فشد يد عادة منزع)

(لا يكن برقك برقاً خلباً ان خير البرق ما الغيث معه)

وإلى المثل العربى . كدمت في غير مكدم . يضرب لمن يطلب شيئاً من غير
أهله وإلى قول المتنبي

(ولا تشك إلى خلق فتشمتهم شكوى الجريح إلى العقبان والرخم)

وإلى الأمثال العربية « الأأساس قبل الأيناس » وهو يضرب فى الرفق و« حرك
ها حوارها تحن » وهو يضرب فى استنهاض الهمة و« نبه لها عمراً ثم نم » يضرب
فيمن يعتمد على غيره . قال بشار بن برد فى عمر بن العلاء :

(إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمراً ثم نم)

(فتى لا ينام على غرة ولا يشرب الماء إلا بدم)

و « عند الصباح يحمد القوم السرى و تنجلي عنهم غيابات الكرى وقائله
خالد بن الوليد » وهو يضرب عند حمد العاقبة

وانك ان سنيت (١) عقد أمرى تيسر. ومتى أعذرت (٢) في فك
أسرى لم يتعذر. وعلمك محيط بأن المعروف ثمرة النعمة؛ والشفاعة
زكاة المروءة. وفضل الجاه (٣) يعود به صدقه

(واذا امرؤ أهدي إليك صنعة من جاهه فكأنها من ماله)
لعلنى العصا بذراك (٤)، وتستقر بنوى (٥) في ظلك؛
واستأنف (٦) التأدب بأدبك. والاحتمال على مذهبك. فلا أوجد
للحاسد مجال (٧) لحظه (٨). ولا أدع للقادح (٩) مساع (١٠) لفظه

(١) سهلت (٢) بالغت في طلب العذر (٣) المنزلة — يقول لسيدى أنى ما كلفتك
أيها السيد ارتكب متون الأهوال ولا معاناة الأحوال ولا عد نجوم السماء ولا
رمات الدهناء وإنما هو أمر يكبر في عين سائله ويصغر عند باذله وهو في يدك
وقبضتك وأنت عليه قادر وان سهلت عسيره سهل وان التمسست لى المخذرة
انتفت الصعوبة وأنت تعلم زادك الله علماً أن النعمة شجرة ثمرها المعروف وأن
المروءة مال زكاته الشفاعة وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان وبذل الجاد رفد
المستعين وأيد ذلك باليت بعده وقوله إن سنيت مأخوذ من قول بشار

فبالله ثق إن عز ما تبغى وقل إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

واليت الذى ذكره لابي تمام

(٤) كل ما استترت به (٥) ما ينويه المسافر من قرب أو بعد (٦) ابتداء
(٧) (جال) طاف (٨) نظره (٩) الطاعن (١٠) ساغ الشراب سهل مدخله
في الحلق — أرجو من سيدى أن يعفو عن ذنبى وتقصيرى ويلبى ندائى هذا
كى أسكن فى ظلك ولا اذهب إلى غيرك وتكون نهاية امالى ومنتهى أسفارى
واقرب عما كنت مرتكباً ومتمسكاً به مما لا يرضيك وأتخلق بأخلاقك وأتمسك

والله ميسرك من اطلابي^(١) بهذه الطلبة^(٢). وأشكائي^(٣) من هذه الشكوى
بصناعة تصيب منها مكان المصنع. وتستودعها احفظ مستودع ، حسبما
أنت خليق^(٤) له . وانا منك حري^(٥) به . وذلك بيده وهين عليه .

بظريقتك واحذو حذوك واتبع مذهبك وبذلك لا يجد عدوى في مدار لحظة
ولا الطاعن في عرضي ما يسوغ من لفظه وقوله لعل القى الخ حل بيت للبارقي وهو
(والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر)

(١) اسعافي (٢) ما طلبه (٣) ازالة ما اشكوه (٤) جدير (٥) حقيق —
يقول لسيدده والحمد لله الذي سهل لك مطلبى واسعافى وازالة ما اشكوه من آلام
السجن بمعروف تبذله لأهله وتحفظه عند امين لوقته على حسبما يقتضيه كرم
أخلاقك وجميل صفاتك وأنا أحق الناس به لمودتي لك واخلاصي في ولائك
وما ذلك عليك بعزير

(ان الصناعة لا تكون صنعة حتى تصيب بها مكان المصنع)
وقال الحجاج لابن القرية ما أضيع الأشياء قال مطر جود ، في أرض سبخة
وقال ابن عبد القدوس

متى تسد معروفا إلى غير أهله رزئت ولم تظفر بأجر ولا حمد
وقال الآخر

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقى الذي لاقى محيرام عامر
اعد لها لما استجارت بيته احابيب البان الاقحاح الدرائر
واسمها حتى اذا ما تمكنت فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزء من يجود بمعروف على غير شاكر

ولما توالى (١) غرر (٢) هذا النظم واتسقت (٣) درره . فهز عطف
غلوائه (٤) ؛ وجرديل خيلائه (٥) . عارضه النظم مباهايا (٦) . بل كايده (٧)
مداهايا ؛ حين أشفق (٨) من أن يعطفك استعطافه . وتميل بنفسك
الطافه (٩) . فاستحسن العائده (١٠) منه ؛ واعتد بالفائده له . وما زال
يستكد (١١) الذهن العليل . والخاطر الكليل (١٢) ، حتى زف اليك
عروسا مجلوة في أثوابها . منصوصة (١٣) بحليها وملابها (١٤) .

(١) تتابعت (٢) جمع غرة وهي أول كل شيء وأكرمه (٣) انتظمت (٤) سرعة
شبابه ونشاطه (٥) كبره (٦) مفاخرأ (٧) خدعه ومكره (٨) حذر (٩) بره
(١٠) العطف والمنفعة — فيما ذكره ابن زيدون رحمه الله تعالى من سحر
البلاغة وحسن الصناعة مع التسجيل بعد المغالطة ما يسمى في البديع بحسن التعليل
فانه أخذ في تعليل ذكر النظم بعد النشر فكأنه يقول أن النظم حينما رأى أخاه
النشر قد الآن قلبك . وأخذ بمجامع ليك ، لما فيه من لطف اشارته . وحسن
عبارته . غار منه وأراد أن يكون هو عذيقها المرجب . والراكب في ميدانها
كل أشهب ، واستحسن ان ينفرد بهذه المزية . وأن يكون هو المبلغ لناظمه
الامنية . وفي ذلك من حسن التلطف ما يفوق (تلطف ابى غزوان) أى القط
يقف امامك خاضعا وأنت تأكل فتارة يتمرغ على جسدك واخرى يجلس على
حجرك وغير ذلك من الاعمال التي يعملها الى ان تطعمه امارحة به وأما جرا
منه فكذلك ابن زيدون مع سيده فانه يغالطه من هنا ويخدعه من هاهنا ويكابر
من هناك حتى يظفر بمراده على أى حال من الاحوال (١١) يجهد (١٢) غير
الحاد (١٣) مرفوعة (١٤) زعفرانها — أخذ يصف مالاقة من الشدة وكابده
من العناء في نظم هذه القصيدة التي سيرسلها الى سيده مزينة بالفاظها البديعة
ومعانيها المختصرة . وثنائها الطيب النشر ليلفت نظره نحوها حتى يسمعها بفكر

وهي قصيدته

الهوى^(١) في طلوع تلك النجوم ☆ والمني^(٢) في هبوب ذاك النسيم^(٣)
سرنا عيشنا (الريق الحواشي)^(٤) ☆ لو يدوم السرور للمستديم
وطر^(٥) ما انقضى الى أن تقضى ☆ زمن ما ذمامه^(٦) بالذميم^(٧)
اذ ختام الرضا المسوغ^(٨) مسك ☆ ومزاج^(٩) الوصال من تسنيم^(١٠)
(وغريض الدلال)^(١١) غرض^(١٢) جنى الصب
وة^(١٣) نشوان^(١٤) من سلاف^(١٥) النعيم

حاضر وعقل متدبر . ويقف على ما فيها مما يذهب الجفوة ويحبب المودة وقد
جرت عادة الشعراء أن يسموا قصيدتهم عروسا بديعة الحسن وسوقها الى الممدوح
زفافا لها، ومهرها الاقبال على شاعرها وقبولها قال الصفي الحلبي
(فاستجل بكر قصيد لأصداق لها سوى القبول وود غير مكفول)
كما جرت عادتهم أيضا أن يختموها بالثناء على محاسنها
قال المتنبي

انا صخرة الوادي اذا مازوحت واذا نطقت فأتني الجوزاء
واذا خفيت على الغبي فعاذر الا تراني مقله عمياء
وقال أبو تمام

من كل بيت يكاد الميت يفهمه حسنا ويعبده القرطاس والقلم
(١) ميل النفس (٢) الريح الطيبة (٣) الرغد (٤) حاجة (٥) عهد (٦)
من الهم ضد المدح (٧) ساغ الشراب سهل مدخلة في الحلق (٨) ما يمزج به
(٩) ماء في الجنة والكلام على التشبيه (١٠) لطيفه (١١) ناضر (١٢) الميل
إلى الهوى (١٣) سكران (١٤) عصير

طالما نافر (١) الهوى منه غر (٢) ☆ لم يطل عهد جيده بالتميم (٣)
 زار مستخفيا وهيئات أن يخفى سنا (٤) البدر في الظلام البهيم (٥)
 فوشى (٦) الحلى اذ مشى وهفا (٧) الطيب الى حس كاشح (٨) بالنسيم
 ايها المؤذنى (٩) بظلم الليال ☆ ليس يومى بواجد (١٠) من ظلوم
 قمر الأفق ان تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
 وهو الدهر ليس ينفك ينحو (١١) ☆ بالمصاب العظيم نحو العظيم
 بوا (١٢) الله جهورا شرف السو

دد فى السرو (١٣) واللباب (١٤) الصميم (١٥)
 واحد سلم الجميع له الأئم ☆ رفكان الخصوص وفق العموم
 قلد الغمر (١٦) ذا التجارب فيه ☆ واكتفى جاهل بعلم العليم
 خطر (١٧) يقتضى الكمال بنوعى ☆ خلق بارع (١٨) وخلق وسيم (١٩)
 أسوة (٢٠) الروض من بطيك يحظى ☆ نظرى ما اعتمدته (٢١) وشميمى
 أي هذا الوزير هانا أشكو ☆ (والعصا بدء قرعها للحليم (٢٢)

(١) جافى (٢) صغير ليس بذى تجربة (٣) عوذة تعلق فى رقبة الصبي حفظاله
 (٤) ضوء (٥) الاسود الحالك (٦) نم (٧) ذهب فى الهواء (٨) مضمير العداوة
 (٩) معلمي (١٠) حنق (١١) يقصد (١٢) هياؤ ومكن له فيه (١٣) سخاء فى
 مروءة (١٤) الحسب (١٥) الخاص (١٦) عديم التجربة (١٧) شرف (١٨) فائق
 (١٩) نصير (٢٠) مثال (٢١) إطمأنت اليه لا تكالى عليه (٢٢) يشير إلى

ما عنانا أن يأنف السابق (١) المر * بط في العتق (٢) منه والتطهير (٣)
وثواء (٤) الحسام في الجفن يثنى (٥) * منه بعد المضاء (٦) والتصميم (٧)
افصبر مئين خمس من الأيام ناهيك من عذاب اليم
ومعنى (٨) من الضنى (٩) بهنات (١٠)

نكأت (١١) بالكلوم قرح الكلوم (١٢)

سقم (لا أعاد منه) (١٣) وفي العا * ثد أنس يفي (١٤) بيرة (١٥) السقيم
نار بغى (١٦) سعى الى جنة الأم * بن لظاها (١٧) فأصبحت كالصريم (١٨)
بابي أنت إن تشا تك برداً * وسلاما كنار ابراهيم
للشفيع الشاء والحمد في صو (١٩) * ب الحيا (٢٠) للرياح لا للغيوم
وزعيم بأن يذل (٢١) لى الصع * ب مثابى (٢٢) الى الهام الزعيم (٢٣)
وثناء أرسلته سلوة (٢٤) الظا * عن (٢٥) عن شوقه وهو المقيم
ووداد يغير الدهر ما شا * ويبقى بقاء عهد الكريم

المثل العربى (وهو إن العصا قرعت لندى الحلم) وهو يضرب لمن إذا نبه انتبه
(١) الفرس (٢) الكرم (٣) اجتماع لحم الوجه مع تدويره (٤) مكث
(٥) يذهب (٦) الحده (٧) الصرامة (٨) تعب (٩) المرض الثقيل
(١٠) شدائد (١١) (نكأ القرحة) قشرها قبل أن تبرأ فنديت (١٢) الجراح
(١٣) لا أزار فيه (١٤) يكفل (١٥) شفاء (١٦) مجاوزة الحد
(١٧) نارها (١٨) محترقة مسودة (١٩) تزول (٢٠) المطر (٢١) يسهل
(٢٢) رجوعى (٢٣) الرئيس (٢٤) عزاء وتسلية (٢٥) المسافر أى ان هذا السناء
ينسى الظاعن شوقه لوطنه ويلهى المقيم عن كل شىء سواه

فهو ريحانة الجليس ولا فح * ر وفيه مزاج كأس النديم (١)
لم يزل مفضبا (٢) على هفوة الجا * نى مصيخا (٣) الى اعتذار المليم (٤)
ومتى يبدأ الصنيعة (٥) يوله * لك (٦) تمام الخصال بالتتميم (٧)

وقال الاحنف بن قيس

ليس دهرى بواجب من ظلوم * وبلائي من حادث وقديم
ليس يستنكر النحول لمثلى * جسدى مبتلى بقلب مشوم
ها كها أعزك الله يبسطها (٨) الأمل (٩) . ويقبضها (١٠) الخجل . لها
ذنب التقصير وحرمة (١١) . الاخلاص (١٢) . فهب ذنبا لحرمة . واشفع
نعمة بنعمة . ليتأتى (١٣) لك الاحسان من جهاته . وتسلك الى الفضل (١٤)
من طرقاته ان شاء الله تعالى

(١) الجليس على الشراب (٢) متجاوزاً بالصفح (٣) مصغيا (٤) الآتى بما يلام
عليه يدعو لسيدته بأن الله يبقيه صالحاً عن المذنبين سامعاً اعتذار المعتذرين
قابلاً قوية التائبين (٥) المعروف (٦) يغريك من الأغراء (٧) أى تتميم المعروف
لكمال خلاله الحميدة (٨) يطوؤها (٩) الرجاء (١٠) يضمها (١١) مالا محل
انها كه (١٢) عدم الشك في الاعتقاد (١٣) (التأتى) التهيؤ (١٤) إسم جامع لكل
خير — يقول ها هي ذى القصيدة يمدّها ويطوؤها الرجاء والأمل . ويضمها
ويجمعها الخجل فهي تقدم رجلاً لحسن ظنّها فيك . وتؤخر أخرى حياء منك
لها ذنب التقصير عن الأمانة بمدحك

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفكم أحيط ما يفنى به لا ينفد

ولها حرمة الاخلاص لك . وعهدى فيك أن تمحو السيئة بالحسنة وتشفع
النعمة بالنعمة ليكون الجزاء مضاعفاً والثواب معظماً وتكون قد أصبت المعروف
من جهاته المعروفة ووصلت الى نهاية الخير من طرقه المألوفة يشير بقوله لها
ذنب التقصير الى قوله عمارة النبنى

خذ العفو واصفح عن قصور قصائدي فانك عن ذنب المقرين صافح
وسامح وخذ بعد الذي تستحقه فمن عادة أن الكريم مسامح
وقول الصفي الحل يصف قصيدته
رقت لتعرب عن رقي لمجدكم حباً وطالت لتمحو ذنب تقصيري
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	٥	صارت	سارت
١٧	١٥	عليه	عليها
١٩	٧	أشهر	اشتهر
٢٠	١٣	إذا	اذ
٣٤	١٠	مسكه	تمسكه
٤٢	١	أحسن	أحسن
٤٩	١٦	رقد	وقد
٥٣	٩	الأمر	الأمير
٥٣	٢٢	فيأخذونها	فيأخذونها
٥٩	١٧	لضربة	لضربة
٦٣	٩	المبارات	المباراة
٦٥	٣	أن يتعيروا	أن يستعيروا
٦٩	٧	فتحول	متحول
٦٩	٩	تتحول	فتحول
٧٢	١٦	فكرة	فكره
٨٠	١٥	مقله	مقله

